

فَضَاءُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَالشَّجَرَةِ  
وَعَلَانِيَتُهُمَا بِالْمَلِكِ عَمْرٍو أَحَدِ أَشْخَرِ الْأَنْبِيَاءِ

فَصَابُوا لَنَا يَدَيْهِ الْمُقَدَّسِينَ وَالشَّعْبَاءَ  
وَعَلَّافَهُمَا بِاللَّحْمِ وَأَحْدَاثِ الْخَرَابِ  
رُحْمًا زَيْنُ بِنْتُ يُوسُفَ السَّيِّدِ

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٢٤ \_ ١٤٤٦

منار الفكر


الترقيم الدولي:

978-625-94885-1-6

منار  
الفكر

KAYABAŞI MAH. ARMAĞAN SK.  
NO:1N BAŞAKŞEHİR / İSTANBUL

   FikirManar

 +905556600088

 www.fikirfeneri.net

 info@fikirfeneri.net

MATBAA: STEP AJANS MATBAA  
LTD. ŞTİ, GÖZTEPE MAH. BOSNA  
CAD, NO11 BAĞCILAR , İSTANBUL  
TELEFON :0212 446 88 46  
MATBAA SERTİFİKA NO : 45522

فضائل بيت المقدس والشعراء  
وعلاقتها بالملامح وأحداث آخر الزمان

أحمد بن يوسف السيد

منار  
الفكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# جدول المحتويات

٦	مقدمة
١٥	الباب الأول: مكانة بيت المقدس والشام في الوحي
١٧	الفصل الأول: الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام
٢٧	الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام
٢٨	المبحث الأول: فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى
٣٩	المبحث الثاني: فضائل الشام
٥٥	الباب الثاني: بيت المقدس وبلاد الشام في أحداث آخر الزمان
٥٧	الفصل الأول: معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم
٥٩	المبحث الأول: سيات مرحلة المهدي
٦٨	المبحث الثاني: معالم مرحلة الملاحم
٧٩	الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام
١٠٣	خاتمة



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وخليل رب العالمين، محمد بن عبد الله المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،  
أما بعد:

فهذا كتاب مختصر في فضائل الشام وبيت المقدس، أكتبه والشوق يحدوني إلى تلك الديار المقدسة، والأرض المباركة، سائلاً الله تعالى أن يجعلني وأحبتي من الفاتحين لها، الناصرين لأهل الحق فيها، والقامعين لأهل الزيغ والضلال الذين طغوا وتجبروا وأكثروا فيها الفساد، من اليهود المحتلين، والباطنية الزائغين، الذين أجموا في حق عباد الله المؤمنين وساموهم سوء العذاب، ونحن نرتقب فيهم وعد الله وخبر نبيه ﷺ.

وقد شهدت الشام على مرّ تاريخها أحداثاً عظيمة، ومعارك كبيرة، وسجلات حامية، ومن أبرزها في التاريخ الإسلامي: أحداث الفتح الأول، ومن أهم ما فيه: معركة أجنادين ومعركة اليرموك الفاصلة، ثم فتح دمشق، ثم فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم بقيت أطراف الشام الشمالية ثغراً للمسلمين بينهم وبين بلاد الروم وجيوشهم، وكان هذا الثغر مليئاً بالمرابطين المجاهدين، حتى انفتق ثغر الشام مع أحداث الحروب الصليبية، واحتلال بيت المقدس على أيدي الصليبيين، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري، وظل هذا الاحتلال إحدى وتسعين سنة إلى أن كتب الله تحرير بيت المقدس عام ٥٨٣ للهجرة على أيدي صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين العظمى، ثم شهدت الشام ملاحم عكاً بين صلاح الدين والصليبيين، واستمر احتلال الصليبيين لعكاً بعد صلاح الدين لمدة قرن كامل، حتى تحررت على يد المهاليك، وبذلك كانت بعض بلاد الشام محتلة من الصليبيين لما يقارب القرنين من الزمن، شهدت أنواع المعارك والحروب، تخللها غزو التتار وحملتهم على بلاد المسلمين والتي طالت بعض بلاد الشام، ودارت فيها معركة عين جالوت عام ٦٥٨ والتي هُزم فيها التتار هزيمة منكرة. ثم شهدت الشام محاولة احتلال نابليون لعكاً في بدايات القرن الثالث عشر الهجري (عام ١٧٩٩ ميلادي)، ودارت فيها معارك حامية انتهت بفشل نابليون وانسحابه.

ثم دخلت الشام تحت وطأة الاستعمار الفرنسي والبريطاني في القرن الهجري الرابع عشر، الموافق للقرن الميلادي العشرين، حتى

حصل الاحتلال اليهودي لفلسطين برعاية الاستعمار البريطاني ثم الحماية الأمريكية، كما دخلت سورية بعد ذلك تحت وطأة حكم الطائفة العلوية برئاسة حافظ الأسد الذي سام شعبه سوء العذاب هو وابنه سيئ الذكر: بشار الأسد الذي قتل وهجر الملايين من الشعب السوري، وما زال حكم هذه الطائفة قائماً إلى حين كتابة هذه الأسطر -عجل الله بزوال ملكهم وأبدلهم بعزهم ذلاً وهواناً-، كما تأتي كتابة هذه الأسطر بعد أشهر من بداية العدوان الصهيوني على قطاع غزة، والذي لا يزال مستمراً إلى الآن، والله المستعان.

هذا، وإننا نؤمن أن ما بقي من أحداث في الشام فهي أعظم مما مضى، غير أنها ستكون عزاً للإسلام والمسلمين، وستعود الخلافة إلى هذه الأرض المباركة وترتفع فيها راية الإسلام، كما ستشهد هذه الأرض الملاحم الكبرى التي تسبق خروج الدجال، ثم ستشهد كذلك نزول عيسى ابن مريم عليه السلام الذي سيقتل الدجال فيها.

ولأجل ذلك كله فإنني أردت المشاركة بهذا الكتاب؛ إيناساً لقلوب المؤمنين المستضعفين والمرابطين في بلاد الشام وأكناف بيت المقدس، وبعثاً لروح التفاؤل والأمل في الأمة، وليكون الكتاب للأجيال القادمة من الطائفة المنصورة كذلك -بإذن الله تعالى-

سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد والبركة والقبول.

وقد قدّم الإمام الشامي ابن رجب الحنبلي رحمه الله كتابه في فضائل الشام بقوله: (وقد جمعت في هذا الكتاب ما ورد في حماية الشام وصيانتها بما فيها من الإيمان والإسلام؛ تطيباً لقلوب المؤمنين وتسكيناً لها مما حدث بالشام من الحوادث المزعجة، في سنة إحدى واثنتين وتسعين بعد سبع مئتين من هجرة إمام المتقين، وخاتم النبيين) <sup>(١)</sup>.

ومن موجبات الحديث عن مكانة بيت المقدس ومنزلته في الإسلام: ما نشاهده اليوم من حملات شرسة ضد مفهوم الأمة ووحدتها، وضد قضية فلسطين على وجه الخصوص، من بعض الأنظمة السياسية العربية، وأجهزتها الإعلامية؛ وذلك إمعاناً في استرضاء الصهاينة والقوى الغربية، ونفاقاً وكرهاً لهيمنة الإسلام الشمولية، ومحاربة للعاملين للإسلام الساعين لرفع كلمته؛ فأوجب ذلك الحديث عن قدسية بيت المقدس في الوحي وعمق الارتباط بين المسلمين وبين بلاد الشام عامة والقدس خاصة؛ على لسان النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكذلك الحديث عن الملاحم وأحداثها المرتبطة بأرض الشام والتي تفتح أملاً لليائسين والمحبطين من أحداث زماننا، وأن الاحتلال

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/١٧٩).

لفلسطين والطغيان في سورية لن يدوما.

ومما يثبت أهمية هذا الموضوع ومركزيته: مقدار عناية العلماء به من قديم الزمن، وتواردهم على التصنيف والتأليف فيه قديماً وحديثاً، ومن أمثلة المؤلفات في هذا المجال:

١. «فضائل الشام ودمشق»: لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي المتوفى سنة ٤٤٤ هـ.
٢. «فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام»: لأبي المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي، المتوفى سنة ٤٩٢ هـ.
٣. «فضائل الشام»: للحافظ أبي سعد عبد الكريم السمعي المتوفى سنة ٥٦٢ هـ.
٤. «تاريخ مدينة دمشق»: للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، المتوفى سنة ٥٧١ هـ.
٥. «فضائل القدس»: للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.
٦. «الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى»، للقاسم بن علي بن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ.
٧. «فضائل بيت المقدس»: للضياء المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.
٨. «ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام»: للعز بن عبد السلام

المتوفى سنة ٦٦٠ هـ.

٩. «فضائل الشام»: لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي المتوفى سنة

٧٤٤ هـ.

١٠. «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام»: لشهاب الدين أبي

محمود أحمد بن محمد بن سرور المقدسي، المتوفى سنة ٧٦٥ هـ.

١١. «فضائل الشام»: لابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ.

١٢. «الروض المغرس في فضائل بيت المقدس»: للشيخ أبي نصر

تاج الدين عبد الوهاب بن عمر الحسيني الشافعي، المتوفى سنة

٨٥٧ هـ.

١٣. «موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثة»، إصدار مركز

بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

١٤. «الوافي في شرح الأحاديث الأربعين الفلسطينية»: لجهاد

العايش.

والكتب المؤلفة في هذا الباب من المتقدمين والمعاصرين غير ما

ذكرتُ كثيرة جداً.

وقد تنوعت الموضوعات التي احتوتها الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية عن بيت المقدس وبلاد الشام، وقد قسم

ابن رجب أبواب كتابه إلى عشرة أبواب تصلح أن تكون تصنيفاً

موضوعياً لما ورد في فضائل الشام، فقال ﷺ مبيناً هذه الأبواب العشرة:

(الباب الأول: فيما ورد في الأمر بسكنى الشام.

الباب الثاني: فيما ورد في استقرار العلم والإيمان بالشام.

الباب الثالث: فيما ورد في حفظ الشام من الفتن.

الباب الرابع: فيما ورد في استقرار خيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام، وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلاد الإسلام.

الباب الخامس: فيما ورد في أن الطائفة المنصورة بالشام.

الباب السادس: فيما ورد في أن الأبدال بالشام.

الباب السابع: فيما ورد في بركة الشام.

الباب الثامن: في حفظ الله الشام بالملائكة الكرام.

الباب التاسع: فيما ورد في بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار.

الباب العاشر: فيما ورد في فضل دمشق بخصوصه).

ويمكن أن يُضاف إلى هذه الأبواب العشر موضوعات أخرى، منها: باب ما ورد في الملاحم في بلاد الشام، وغير ذلك من الأبواب.

وقد قسمت الكتاب إلى باين، يتضمن كل باب منها فصلين،  
وذلك على النحو التالي:

الباب الأول: مكانة بيت المقدس والشام في مرجعية الوحي،  
وفيه فصلان:

الأول: الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام.

الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام.

الباب الثاني: بيت المقدس وبلاد الشام في أحداث آخر الزمان،  
وفيه فصلان:

الأول: معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم.

الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان  
المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام.

هذا، وليس المقصود من هذا الكتاب الاستقصاء التام لكل  
ما ورد في الشام من فضائل، وإنما جمع طائفة منها مع التعليق  
عليها، وقد اعتنيت بالصنعة الحديثة في هذا الكتاب؛ وانتقيت من  
الأحاديث أصحها وأحسنها، وإن كنت قد أوردت شيئاً مما هو  
ضعيف مع بيان ضعفه، وهذا الباب لا يُتشدّد فيه غاية التشديد.

وأحمد الله تعالى على ما يسّر، وأستغفره من ذنوبي وتقصيري  
وخطئي وعمدي، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة  
إلا به.

أحمد بن يوسف السّيد

إسطنبول

١٤٤٦/١/٣ هـ



## الباب الأول:

# مكانة بيت المقدس والشام في الوحي

وفيه فصلان:

الأول: الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام.

الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام.



# الفصل الأول:

## الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام<sup>(١)</sup>

أولاً: قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

هذه الآية الكريمة أسست لمكانة المسجد الأقصى في مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام، وذلك قبل الهجرة النبوية، بعد حادثة الإسراء والمعراج، وفي هذه الآية فوائد:

---

(١) أما حدود الشام، فذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ما يلي: (أما حدّها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصريّة، وأما عرضها فمن جبلي طيّء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد، وبها من أمّهات المدن: منبج وحلب وحمّة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكاّ وصور وعسقلان وغير ذلك.

وهي خمسة أجناد:

جند قنسرين وجند دمشق وجند الأردنّ وجند فلسطين وجند حمص، وقد ذكرت في أجناد.

ويعدّ في الشام أيضا الثغور: وهي المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس والبلقاء وغير ذلك، وطولها من الفرات إلى العريش نحو شهر، وعرضها نحو عشرين يوما).

الأولى: في اسم المسجد الأقصى، وهذه التسمية للمسجد بالأقصى من مبتكرات القرآن ولم تكن معروفة قبل ذلك، وفيها إيحاء إلى المسجد النبوي الذي هو قَصِيٌّ عن مكة ولكن مسجد بيت المقدس أقصى منه، وذلك كما قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: (الأقصى: أي الأبعد، والمراد بعده عن مكة، بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء وكونه خارقاً للعادة؛ لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة. وبهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف علماً بالغلبة على مسجد بيت المقدس كما كان المسجد الحرام علماً بالغلبة على مسجد مكة. وأحسب أن هذا العلم هو من مبتكرات القرآن، فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف، ولكنهم لما سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء. ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ.

وفي هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزة خفية من معجزات القرآن إيحاء إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قصي عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ؛ فتكون الآية مشيرة إلى جميع

المساجد الثلاثة المفضلة في الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتي بينها قول النبي ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَمَسْجِدِي»<sup>(١)</sup> (٢). وهو كلام بديع من ابن عاشور رحمه الله تعالى.

قال ابن تيمية رحمته الله: (فإن المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام؛ وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رحمته الله في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد؛ فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زباله عظيمة؛ لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يُصلُّون إليها فأمر عمر رحمته الله بإزالة النجاسة عنها وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة، فقال: «يا ابن اليهودية! خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها؛ فإن لنا صدور المساجد» ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، وقد روي عن عمر رحمته الله أنه صلى في محراب داود).<sup>(٣)</sup>

(١) البخاري (١١٨٨)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٤/١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/١١ - ١٢).

الثانية: في مكانة المسجد الأقصى، وذلك لكونه ذكر في القرآن على سبيل التعظيم بذكر إسرائ خاتم النبيين إليه، وبذكر البركة فيما حوله، وبما ورد في الحديث من إمامة النبي ﷺ بالأنبياء فيه.

الثالثة: في البركة المذكورة في الآية، قال الطبري رحمته الله: (وقوله ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معاشهم وأقواتهم وحروثهم وغرووسهم)<sup>(١)</sup>. وقال ابن الجوزي رحمته الله: (ومعنى ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾: أن الله أجرى حوله الأنهار وأنبت الثمار، وقيل: لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن رجب رحمته الله: (واعلم أن البركة في الشام تشمل البركة في أمور الدين والدنيا ولهذا سميت الأرض المقدسة)<sup>(٣)</sup>، وقال كذلك: (ومن بركتها الدينية أنها أرض الجهاد، فأهلها في جهاد ورباط، ونفقتهم على أنفسهم كالنفقة في سبيل الله، تضاعف سبعمائة ضعف، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان هلم إلى الأرض المقدسة أرض الجهاد، وكذلك كان السلف يختارون الإقامة بها للجهاد كما فعل ذلك رؤساء مسلمة الفتح من قريش)<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١٤/٤٤٨).

(٢) زاد المسير (٨/٣).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/٢٤٠).

(٤) المرجع السابق.

وقد تكرر في القرآن وصف أرض الشام بأنها أرض مباركة، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، قال ابن كثير رحمه الله: (يعني أرض الشام)<sup>(١)</sup>.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وقد دل القرآن العظيم على بركة الشام في خمس آيات:

١- قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، والله تعالى إنما أورث بني إسرائيل أرض الشام.

٢- وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكَتْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ وَمَن يَأْتِنَنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

٣- وقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١].

٤- وقوله: ﴿وَلَسَلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

(١) تفسير ابن كثير (٥/٣٥٨).

٥- وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَةً ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨].

فهذه خمس آيات نصوص.

والبركة تتناول البركة في الدين والبركة في الدنيا، وكلاهما معلوم لا ريب فيه. <sup>(١)</sup>

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧/٤٣-٤٦)، وتمتمة الكلام أنقله هنا للفائدة، قال رحمته: (فهذا من حيث الجملة والغالب، وأما كثير من الناس فقد يكون مقامه في غير الشام أفضل له كما تقدم. وكثير من أهل الشام لو خرجوا عنها إلى مكان يكونون فيه أطوع لله ولرسوله لكان أفضل لهم. وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رحمته يقول له: «هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ». فكتب إليه سلمان: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدَّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدَّسُ الرَّجُلُ عَمَلُهُ».

وهو كما قال سلمان الفارسي؛ فإن مكة حرسها الله تعالى أشرف البقاع وقد كانت في غربة الإسلام دار كفر وحراب، يحرم المقام بها، وحرّم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها.

وقد كانت الشام في زمن موسى، عليه السلام، قبل خروجه ببني إسرائيل دار الصابئة المشركين الجابرة الفاسقين وفيها قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

فإن كون الأرض «دار كفر» أو «دار إسلام أو إيمان» أو «دار سلم» أو «حرب» أو «دار طاعة» أو «معصية» أو «دار المؤمنين» أو «الفاستقين» أو «أوصاف عارضة؛ لا لازمة؛ فقد تنتقل من وصف إلى وصف.

وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ

ثانياً: قوله سبحانه وتعالى ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾

[المائدة: ٢١].

فيها فوائد:

الأولى: في تحديد الأرض المقدسة المقصودة في الآية، وقد اختلف العلماء في تحديدها، ولكن كما قال ابن جرير رحمته الله: (غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسّير والعلماء بالأخبار على ذلك).<sup>(١)</sup>، وقال ابن عاشور رحمته الله: (وهذه الأرض هي أرض فلسطين، وهي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردن والبحر الميت؛ فتنتهي إلى حماة شمالاً وإلى غزة وحبرون جنوباً)<sup>(٢)</sup>، وانظر بقية الأقوال في

الْجَنَّةِ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴿البقرة: ١١١-١١٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وإسلام الوجه لله تعالى هو إخلاص القصد والعمل له والتوكل عليه؛ كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٨٦).

(٢) التحرير والتنوير (٦/ ١٦٢).

الحاشية. (١)

الثانية: في معنى الأرض المقدسة، فقال ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره مبيناً الأقوال في ذلك: (أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج. وسمي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سماها مقدسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين. والثاني: أن المقدسة: المباركة، قاله مجاهد.) (٢)  
وقال ابن رجب: (والمراد بالمقدسة المطهرة من الشرك وتوابعه ولذلك كانت أرض الأنبياء.) (٣)

(١) قال ابن الجوزي: (وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال.

أحدها: أنها أريحا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد. قال السدي: أريحا: هي أرض بيت المقدس. وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس، قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس. فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن إيلياء بيت المقدس، وهو معرب. قال الفرزدق: وبيتان بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى إيلياء مشرف

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة) اهـ. (فضائل بيت المقدس لابن الجوزي / ٧٤).

(٢) زاد المسير (١/ ٥٣٢).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٢٤).

الثالثة: في أهمية استحضار كون أرض فلسطين أرضاً مقدسة بوصف الله لها بذلك، وهذا يزيد من مكانتها في قلوب المسلمين، ويزيد من عنايتهم بها، وحمايتهم لها، واهتمامهم بقضاياها، وطرد المحتلين منها.

ثالثاً: قوله سبحانه وتعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

إن من أهم فضائل الشام أنها أرض الأنبياء ومهاجرهم، كما في هذه الآية، وقال الطبري رحمه الله في تفسيرها: (يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطاً من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض الشام، فارق صلوات الله عليه قومه ودينهم وهاجر إلى الشام)<sup>(١)</sup>، ثم أسند الطبري إلى قتادة رحمه الله قوله: (كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشام، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال)<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١٦/٣١٠).

(٢) تفسير الطبري (١٦/٣١٢).

وكان هذا الأمر معروفاً عند الصحابة في زمن النبي ﷺ، كما قال أبو ذر رضي الله عنه للنبي ﷺ عن الشام: (الشام أرض الهجرة، وأرض المحشر، وأرض الأنبياء)، فأقره النبي ﷺ <sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أحمد (٢٨٢٣٦)، وقال ابن عبد الهادي: إسناده حسن.

## الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام

سأذكر هنا طائفة من الأحاديث النبوية المتعلقة ببيت المقدس والشام، مبتدئاً ببيت المقدس، ثم الشام، مع التعليق عليها بما يفيد مما ذكره أهل العلم أو فتح الله عليّ به، مع ذكر شيء من العلل والأحكام على الأحاديث والأسانيد.



## المبحث الأول:

### فضائل بيت المقدس<sup>(١)</sup> والمسجد

### الأقصى في الأحاديث النبوية:

الحديث الأول: قال الإمام البخاري رحمته الله: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوْلَى؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ، قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا، قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيُّنَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلَّهُ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث يبين مكانة المسجد الأقصى في ميزان الله سبحانه وتعالى الذي جعله من أول المساجد في هذه الأرض، بل هو المسجد الثاني على الإطلاق، بعد المسجد الحرام، فهو موضع مبارك، اجتمع فيه الأنبياء، ورُفعت فيه الصلوات، وذكر فيه اسم الله على مرّ العصور والدهور، وهذا يزيد من مسؤولية المسلمين

---

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره: (وسمي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب).

(٢) صحيح البخاري - ٣٣٦٦

تجاهه حين يُعتدى عليه، كما هو الحال في زماننا إذ احتلّه اليهود ودنّسوه وضيقوا على المسلمين فيه.

الحديث الثاني: قال الإمام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ: أَحْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث بيان ارتباط النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة بالمسجد الأقصى من بداية الإسلام، إذ كانت قبلتهم إليه، وهذا الارتباط جعل لهذا المسجد مكانة في نفوس المؤمنين من أول أيام الإسلام. وفي هذا رد على من يحاول قطع الصلة بين المسلمين وبين فلسطين والمسجد الأقصى من مناقبي هذا الزمن، فإن هذه العلاقة

(١) صحيح البخاري (٤٠).

علاقة ربانية نشأت من أول أيام الإسلام، وليست علاقة ناشئة عن أحزاب أو جماعات أو فئات محدودة من المسلمين.

الحديث الثالث: قال النسائي: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ رَبِيعَةَ بِنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْحَوَّلَانِيِّ، عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُجْرَجَهُ مِنْ حُطْبَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(١)</sup>، قال ابن حجر رحمته الله: إسناده صحيح.<sup>(٢)</sup>

قال ابن تيمية رحمته الله: (واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه: كالصلاة والدعاء، والذكر، وقراءة القرآن والاعتكاف، وقد روي من حديث رواه الحاكم في صحيحه: «أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً: مُلْكًا لَا يَنْبَغِي

(١) سنن النسائي الصغرى (٦٩٢)، وأخرجه ابن حبان (١٦٣٣) من طريق الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني ربعة بن يزيد به، وزاد: (فقال رسول الله ﷺ: وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالث).

(٢) فتح الباري

لأحد من بعده، وسأله حكماً يوافق حكمه، وسأله أنه لا يؤم أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له»، ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء؛ لتصبيه دعوة سليمان رضي الله عنه لقوله: «لا يريد إلا الصلاة فيه» فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه، ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة<sup>(١)</sup>.

الحديث الرابع: قال الحاكم في مستدركه: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّعِيرِيِّ، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُعَاذِ السُّلَمِيِّ، ثنا حَفْصُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنِ الْحُجَّاجِ بْنِ الْحُجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: تَذَاكُرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلِنِعْمِ الْمُصَلِّي، وَلْيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطْنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»، أَوْ قَالَ: «خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٦/٢٧).

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٨٦٤٨)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان. وقال الشيخ سليمان العلوان في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب: الحديث الذي فيه أن الصلاة في بيت

وفي مذاكرة الصحابة فضل المسجدين عند رسول الله ﷺ دليل على استقرار عظمة المسجد الأقصى في نفوسهم، كما أن في هذا الحديث من فضل المسجد الأقصى كون الصلاة فيه بمائتين وخمسين صلاة، وذلك لأن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة في عامة المساجد ولكنها بأربع صلوات في المسجد الأقصى، وهذا أصح ما ورد في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى<sup>(١)</sup>، كما أن في هذا الحديث بيان المكانة الكبيرة للسكنى قريباً من المسجد الأقصى بحيث يرى، ولو كان الموضع بقدر شطن الفرس، أي حبله، وقد يكون في هذا

المقدس بمائتين وخمسين صلاة لا بأس بإسناده، رواه الفسوي وغيره، وقال عن الحديث الذي فيه أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة: رواه ابن ماجه وهو مغل، وقال الطبراني في الأوسط: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا الحجاج وسعيد بن بشير، تفرد به إبراهيم بن طهمان عن الحجاج، وتفرد به ابن سليمان بن أبي داود عن سعيد.

وفي علل الدارقطني: (وَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ... الْحَدِيثِ. فَقَالَ: يَرْوِيهِ قَتَادَةُ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ؛ فَرَوَاهُ حَجَّاجُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ (وهذا هو إسناد الحديث المذكور بالأعلى). وَاخْتَلَفَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، فَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُقْبَةَ السَّدُوسِيُّ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ. وَكَذَلِكَ رَوَى سَعِيدُ بْنُ أَبِي عُرْوَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، وَهَشَامُ بْنُ خَالِدٍ، وَعَيْرُهُمَا: عَنِ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، لَمْ يَذْكُرْ بَيْنَهُمَا أَحَدًا، وَقَتَادَةُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ. وَقَوْلُ حَجَّاجِ بْنِ حَجَّاجٍ: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ أَشْبَهُهُ بِالصَّوَابِ).

(١) كما قال الألباني في الصحيحة (٦/ ٩٥٤).

النص إشارة إلى مقدار الإعاقة الواقعة اليوم دون رؤية المسلمين للمسجد الأقصى والسكنى فيه بسبب الاحتلال اليهودي.

الحديث الخامس: قال الإمام مسلم: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ - وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحَجَرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَمْ أَثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبُ جَعْدٍ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَإِذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَأَمَّتْهُمْ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ، قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث من الفضل العظيم والشرف الرفيع والمكانة

العلية للمسجد الأقصى: أن النبي صلى الله عليه وسلم أم النبيين بالصلاة فيه.

(١) صحيح مسلم (١٧٢).

الحديث السادس: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي بَخْطُ يَدِهِ: حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرِ الرَّمْلِيِّ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، عَنِ السَّيْبَانِيِّ وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ، ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»<sup>(١)</sup>.

وإسناده صالح إن كان محفوظاً، فإن العجلي وابن حبان وثقا عمرو بن عبد الله الحضرمي وحكم الذهبي بجهالته<sup>(٢)</sup>.

- (١) مسند أحمد (٢٢٣٢٠)، قال الشيخ عبد الله السعد: لعل إسناده صالح.
- (٢) وللحديث شاهد: عن مرة البهزي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم، وهم كالإنياء بين الأكلة حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم كذلك» فقلنا: يا رسول الله، من هم؟ وأين هم؟ قال: «بأكناف بيت المقدس». أخرجه يعقوب بن سفيان (٢/ ٢٩٨) عن محمد بن عبد العزيز الرَّمْلِيِّ ثنا عباد بن عباد أبو عتبة عن أبي زرعة عن أبي وعلة -شيخ من عك- قال: قدم علينا كريب من مصر يريد معاوية، فزرناه، فقال: ما أدري عدد ما حدثني مُرَّةُ البهزي في خلاء وفي جماعة أنه سمع رسول الله ﷺ ذكره، وأخرجه الطبراني وابن عساكر، وقال الشيخ عبد الله السعد في مقطع له على يوتيوب: (لعل إسناده صالح) وقال في مقطع آخر بعنوان: «غزة بأكناف بيت المقدس»: (إسناده صالح لا بأس به)، وقدم الشيخ عبد الله هذا الإسناد على إسناد حديث أبي أمامة ورأى أنه الصواب. وضعف الشيخ المعلمي في الأنوار الكاشفة تعيين الطائفة المنصورة أنها بيت المقدس).

قلت: وحديث الطائفة المنصورة متواتر عن النبي ﷺ، وهو وإن كانت عامة رواياته ليس فيها هذه الزيادة: «بِأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» إلا أنه قد ثبت عن النبي ﷺ وبعض أصحابه أصل عام في ذلك، كما في صحيح مسلم عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (١)، وفسر الإمام أحمد كلمة «أهل الغرب» بأهل الشام، وكذلك ثبت في البخاري تفسير معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحديث الطائفة الظاهرة على الحق بأنهم في الشام.

الحديث السابع: قال الإمام البخاري: (بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا)، ثم قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أُرْسِلَ مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أُرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَلَا أَنْ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى

(١) صحيح مسلم (١٩٢٥).

جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَيْثِيبِ الْأَحْمَرِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر رحمته الله في شرح الحديث: (وقوله فيه: «رمية بحجر»؛ أي قدر رمية حجر، أي: أدني من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر، أو أدني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا الثاني أظهر. ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم، ولم يدخلها معه أحد ممن امتنع أو لاً أن يدخلها، كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء، ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحاً أيضاً، فكأن موسى لما لم يتهياً له دخولها لغلبة الجبارين عليها، ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها، طلب القرب منها، لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه)<sup>(٢)</sup>.

الحديث الثامن: قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ، عَنْ أَخِيهِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ، عَنْ مَيْمُونَةَ رحمته الله مَوْلَاةِ

(١) صحيح البخاري (١٣٣٩).

(٢) فتح الباري، باختصار (٢٠٧/٣).

النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: «أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، أَتُتَوُّهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ»، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث أوردته لشهرته في فضائل المسجد الأقصى، وحسنه بعض المتأخرين لكن قال الإمام الذهبي رحمته الله في ترجمة زياد بن أبي سودة في ميزان الاعتدال: (هذا حديث منكر جداً)<sup>(٢)</sup>، وقال ابن رجب رحمته الله: (خرجه الإمام أحمد وابن ماجه، وخرجه أبو داود ولم يذكر: «فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره»، وإسناده قوي لأن رواه ثقات، لكن قد قيل: إن إسناده منقطع، وفي متنه نكارة)<sup>(٣)</sup>.



(١) سنن ابن ماجه (١٤٠٧).

(٢) ميزان الاعتدال، ترجمة رقم (٢٨١٤).

(٣) فضائل الشام، ابن رجب.



## المبحث الثاني: فضائل الشام في الأحاديث النبوية:

إنَّ مما يجدر التنبيه له أن كل الأحاديث الواردة في فضائل الشام يدخل فيها بيت المقدس من باب أولى، لأنه أشرف بقاع الشام، إلا ما جاء خاصاً بمدينة من مدن الشام بعينها، مثل ما ورد في فضل دمشق.

والأحاديث الواردة في فضائل الشام لها ميزة على ما ورد في بقية البلدان، وذلك أن الأحاديث الواردة في فضائل البلدان على قسمين، منها ما هو في فضل الأرض، كمكة والمدينة، ومنها ما هو في فضل أهل الأرض كاليمن، إلا الشام فهي التي ورد فيها الفضلان: فضل الأرض وفضل أهل الأرض، ذكر ذلك الشيخ سليمان العلوان حفظه الله وسلمه، ثم ذكر مثلاً في فضل أرضها، وهو ما ورد في القرآن من ذكر بركتها، وأما فضل أهلها فحديث: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ»<sup>(١)</sup>، وفي الجمع بين الفضلين

---

(١) رواه الترمذي (٢١٩٢).

حديث: «فَاتَمَّهَا خَيْرَةٌ لِّلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ»<sup>(١)</sup>.  
وهذا تحرير مفيد من الشيخ<sup>(٢)</sup>.

ويؤخذ من عامة أحاديث فضائل الشام: التفاؤل لمستقبل هذه البلاد المباركة، التي هي على عين الله، وتحت أجنحة ملائكته، فإنه مهما غشيها من الأهوال والفساد، فإن رحمة الله ستدركها ولا شك.

الحديث الأول: قال أبو داود<sup>(٣)</sup>: حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ، حَدَّثَنِي بَحِيرٌ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَعْنِي بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ أَبِي قَتِيلَةَ، عَنْ ابْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ»، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَاتَمَّهَا خَيْرَةٌ لِّلَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خَيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمِينِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ عُذْرِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَكَّلْ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ».

قال ابن أبي حاتم: وسألت أبي عن حديث رواه إبراهيم بن أبي شيبان، عن يونس بن ميسرة بن حلبس، عن أبي إدريس، عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا؟»، قَالَ:

(١) سنن أبي داود (٢٤٨٣).

(٢) من مقطع صوتي له مرفوع على موقع: يوتيوب.

(٣) سنن أبي داود (٢٤٨٣).

هُوَ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ<sup>(١)</sup>. قلت: وهذا حكم عزيز من الإمام أبي حاتم الرازي<sup>(٢)</sup>.

وقد أخطأ بعض المعاصرين خطأ عظيمًا حين نزلوا هذا الحديث على العصابات الرافضية في اليمن، وفي العراق، وفي لبنان، فإنهم أبعد ما يكونون عن هذا الحديث؛ وذلك لما ظهر من أفعالهم الشنيعة في سفك دماء أهل السنة في سورية وفي العراق، وما تجاوزوا به الحد من قتل الأطفال والنساء وانتهاك الحرمات، هذا فضلًا عن كونهم يلعنون أهل الحديث وأوائل هذه الأمة، فليسوا هم أهل هذا الحديث.

ونقل ابن رجب رحمته الله في كتابه «فضائل الشام»<sup>(٣)</sup> مجموعة من الروايات عن الإمام أحمد في سُكنى الشام أنقل بعضها لفائدته، قال: (وذكر أبو بكر الخلال في «كتاب الجامع» عن أبي بكر المروزي، قال: سئل أبو عبد الله يعني: أحمد بن حنبل أين ترى الرجل إذا كره المكان الذي هو فيه أن ينتقل؟ قال: إلى المدينة.

(١) علل ابن أبي حاتم (١٠٠١).

(٢) وقد أخرج ابن حبان هذا الحديث (٧٣٠٦) من طريق سعيد بن عبد العزيز أخبرني مكحول عن أبي إدريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة به.

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/١٨٤).

قيل: فغير المدينة؟ قال: مكة، قيل: فغير هذا؟ قال: الشام، والشام أرض المحشر، ثم قال: دمشق لأنها يجتمع إليها الناس إذا غلبت عليهم الروم.

ونقل إسحاق بن إبراهيم بن هانئ وأبو طالب، عن أحمد قريباً من ذلك، زاد أبو طالب، قلت له: فأصير إلى دمشق؟ قال: نعم، قلت: فالرملة؟ قال: لا هي قريبة من الساحل.

ونقل حنبل عن أحمد قال: إذا لم يكن للرجل حرمة فالساحل والرباط أعظم للأجر يرد عن المسلمين، والشام بلد مبارك.

ونقل أبو داود، عن أحمد أنه قيل له: هذه الأحاديث التي جاءت: «إن الله تكفل لي بالشام وأهله» ونحو هذا؟ قال: ما أكثر ما جاء في هذا.

قيل له: فلعله في الثغور؟! قال: لا، وقال: أرض بيت المقدس أين هي، ولا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق، هم أهل الشام، ثم قال ابن رجب رحمته الله مبيناً خلاصة معاني هذه الروايات عن أحمد: (وحاصل ما نقل عن الإمام أحمد أنه يستحب سكنى الشام والانتقال بالذرية والعيال إلى معاقلها كدمشق).

فأما أطرافها وثورها القريبة من السواحل فلا يستحب سكنها بالذرية لما يخشى عليهم من إغارة الكفار، وإنما يستحب الإقامة بها للرباط بدون نقل النساء والذرية، وكل ما كان من بلدانها أقرب إلى السواحل وأشد خوفاً فإنه يكره نقل الذرية إليه.

فأما الأحاديث في فضائل الشام فلا تختص عنده بثغورها بل هي عامة لجميع أرض الشام كبيت المقدس وما والاها ودمشق وغيرها)، ثم قال عقب ذلك: (وهكذا كان عمر بن عبد العزيز يختار لنفسه بلاد قنسرين على دمشق، وإنما اختار هذا لقرب العدو وكون مقامه فيه أنفع للمسلمين لتجهيز الجيوش ووصول الأخبار، وغير ذلك من مصالح العامة، والله أعلم)<sup>(١)</sup>.

قلت: ومما يحسن إلحاقه بحديث الباب في الحث على سكنى الشام: ما أخرجه الترمذي قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَنْ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «هَاهُنَا». وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٨٥).

(٢) الترمذي (٢١٩٢).

الحديث الثاني: قال الترمذي: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ حَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث فيه فوائد، منها: أنه من الأحاديث التي يُستنبط منها أن الطائفة المنصورة بالشام، فقد ذكر النبي ﷺ هذه الطائفة بعد ذكْر الشام وأهلها.

ومنها: أن صلاح أهل الشام معيار لصلاح الأمة، كما قال الشيخ عبد العزيز الطريفي في شرح الحديث في كلام بديع: (فكأن الله جل وعلا قد جعل خيرية أهل الشام مقياساً لصلاح هذه الأمة، فإذا صلحت هذه البلدة ففي ذلك إشارة إلى استقامة أمر أمة الإسلام، وإذا ضعفت هذه البلدة فهو أمانة على انكماش أمر هذه الأمة واضطرابها وكثرة الفتن، وهذا أمر معلوم؛ فمنذ اضطرب أمر

(١) الترمذي (٢١٩٢).

الشام تقسمت دول الإسلام، وتصدع أمر الأمة إلى دويلات ظهرت فيها الأثرة، وظهر فيها كل أحد على بلدته التي هو فيها، فظهرت العرقيات والطائفيات والوطنيات في تقسيمها، والأثرة من جهة المال، فتنازب الناس وتسابوا من جهة ألقابهم وأموالهم وأنسابهم، وكذلك أيضاً ضعفت اللُّحمة الدينية واتجه الناس إلى الحُمتِ أخرى، منها الصلة المادية ومنها الأرضية، وما يتعلق بالأنساب والأحساب والألوان وغير ذلك، فتقسم الناس أوصالاً<sup>(١)</sup>. اهـ.

ومما يمكن الخروج به من هذا الحديث من توصية عملية: العناية بالدعوة والإصلاح في أهل الشام خاصة، لأن صلاحهم معيار على صلاح الأمة، وفسادهم معيار على فساد الأمة؛ وذلك في قوله ﷺ:

«إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

الحديث الثالث: قال الإمام مسلم في صحيحه: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكر ذلك في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب وأصله برنامج في قناة الرسالة.

(٢) الترمذي (٢١٩٢).

(٣) صحيح مسلم (١٩٢٥).

قال ابن رجب رحمته الله: (وقد فسّر الإمام أحمد أهل الغرب في الحديث بأهل الشام، فإن التشريق والتغريب أمر نسبي، والنبى صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا بالمدينة، وقد سمي النبى صلى الله عليه وسلم أهل نجد والعراق أهل المشرق فلذلك كانوا يسمون أهل الشام أهل المغرب، لأن الشام تتغرب عن المدينة كما أن نجداً لتشرق عنها، وكانوا يسمون البصرة هنداً لأنها من جهة الهند، ومنها يسلك إلى الهند) (١).

الحديث الرابع: قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَقِيدٍ، حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتِمَلَتْ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ بِصَرِيٍّ، فَعَمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتْنُ بِالشَّامِ» (٢).

هذا الحديث روي من وجوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث أبي الدرداء وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن حوالة رضي الله عنه، وصحح ابن حجر إسناده حديث أبي الدرداء، وأخرج البزار حديث أبي

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/٢٠٥).

(٢) مسند أحمد (٢٢١٤٧).

الدرداء<sup>(١)</sup> من نفس طريق الإمام أحمد لكن عن (ثور بن يزيد) بدل (زيد بن واقد)، ثم قال: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ إلا من أحاديث أهل الشام رواه عبد الله بن بسر، وأبو الدرداء ووحشي بن حرب، ولا نعلم له إسناداً أحسن من هذا الإسناد، عن أبي الدرداء، وقد روي عن أبي الدرداء من غير هذا الوجه وهذا أحسن إسناداً يروى أيضاً، عن أبي الدرداء)<sup>(٢)</sup>، وصحح إسناده البيهقي في دلائل النبوة<sup>(٣)</sup> وقال عبد الحق الإشبيلي: (هذا صحيح)<sup>(٤)</sup> فالحديث صحيح عند أهل العلم.

وجاءت رواية للحديث عند ابن عساكر فيها زيادة، وهي: (فأولته الملك)، قال ابن رجب رحمته الله تعليقاً على هذه الزيادة: (فإن الكتاب إنما يُقام به بمُلك يؤيده ويقا تل به من خرج عنه)<sup>(٥)</sup> وقال ابن تيمية حين ذكر الحديث: (وعمود الكتاب والإسلام: ما يعتمد عليه، وهم حَمَلَتُهُ القَائِمُونَ به)<sup>(٦)</sup>.

قلت: وهذا الحديث من أعظم فضائل الشام من الجهة الدينية،

(١) مسند البزار (٤١١١).

(٢) مسند البزار (٤٨/١٠).

(٣) دلائل النبوة (٤٤٧/٦).

(٤) الأحكام الوسطى (٣٧٤/٤).

(٥) مجموع رسائل ابن رجب (١٩٠/٣).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢/٢٧).

وفيه البشرى ببقاء الدين فيها، بل وكونها مركزاً له وموتلاً.

وأظهر مرحلة تنزل عليها أحاديث فضل الشام من الناحية الدينية هي مرحلة الملاحم والفتن في آخر الزمان، كما ذكر عبد الحق الإشبيلي عن هذا الحديث، قال: (ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله ورسوله أعلم)؛ ولذلك بَوَّب الإمام ابن رجب في كتابه فضائل الشام بما يلي: (باب فيما ورد في استقرار خيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام، وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلدان المسلمين)<sup>(١)</sup>. وقال ابن تيمية رحمته الله: (والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها، وكما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فخير أهل الأرض في آخر الزمان ألزمهم مهاجر إبراهيم، عليه السلام، وهو بالشام)<sup>(٢)</sup>.

الحديث الخامس: قال الترمذي رحمته الله<sup>(٣)</sup>: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ يُحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ عَنْ

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/١٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٨).

(٣) سنن الترمذي (٣٩٥٤).

زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ <sup>(١)</sup>، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِلشَّامِ»، فَقُلْنَا: لِأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهَا»، قَالَ أَبُو عِيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عَبْدِ الْهَادِي: (رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ) <sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ <sup>(٣)</sup> بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، حَيْثُ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمٍ <sup>(٤)</sup> حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ - وَذَكَرَ ابْنُ سَلَمٍ آخَرَ مَعَهُ - عَنْ يَزِيدِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلشَّامِ» قُلْنَا: مَا بَالُهُ؟ قَالَ: «إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ لَبَاسِطَةٌ أَجْنَحَتَهَا عَلَيْهِ».

هذا الحديث من أشرف الأحاديث في فضل الشام

(١) في تحفة الأحوذى: قَوْلُهُ: (نُؤَلِّفُ) مِنَ التَّأْلِيفِ أَي: نَجْمَعُ (مِنَ الرَّقَاعِ) بِكَسْرِ الرَّاءِ جَمْعُ رُقْعَةٍ وَهِيَ مَا يُكْتَبُ فِيهِ.

(٢) فضائل الشام لابن عبد الهادي (٣٨) ط: ابن حزم.

(٣) التقاسيم والأنواع (٣٦٢٠).

(٤) قال الذهبي في السير: كان ثقة من أئمة الحديث.

الحديث السادس: قال البخاري (١): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا»، قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظْنُهُ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». (٢)

وهذا الحديث فيه زيادة الفضل والبركة لبلاد الشام، فهي أرض مباركة بنص القرآن قبل البعثة النبوية، ثم ازدادت بركة وخيراً ونساء بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لها.

الحديث السابع: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، قال: حدثنا عبد الحميد، قال: ثنا شهر بن حوشب، قال: حدثني أسماء بنت يزيد، أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه، كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فرغ من خدمته أوى (١) صحيح البخاري (٧٠٩٤).

(٢) قال ابن حجر في الفتح، في تفسير: (وجدنا): وَأَوَّلُ الْفِتَنِ كَانَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ الشَّيْطَانُ وَيَفْرَحُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْبَدْعُ نَسَأَتْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: نَجِدٌ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ نَجْدُهُ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ وَتَوَاحِيهَا وَهِيَ مَشْرِقُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَصْلُ النَّجْدِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ خِلَافُ الْعَوْرِ فَإِنَّهُ مَا انْحَفَضَ مِنْهَا وَتِهَامَةٌ كُلُّهَا مِنَ الْعَوْرِ وَمَكَّةٌ مِنْ تِهَامَةٍ، انْتَهَى. وَعُرِفَ بِهَذَا وَهَاءَ مَا قَالَهُ الدَّوْدِيُّ إِنَّ نَجْدًا مِنْ نَاحِيَةِ الْعِرَاقِ فَإِنَّهُ تَوَهَّمُ أَنْ نَجْدًا مَوْضِعٌ مَخْصُوصٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ كُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا يَلِيهِ يُسَمَّى الْمُرْتَفِعُ نَجْدًا وَالْمُنْحَفِضُ عَوْرًا.

إلى المسجد، فكان هو بيته يضطجع فيه، فدخل رسول الله ﷺ ليلة، فوجد أبا ذر نائماً منجداً في المسجد، فنكته رسول الله ﷺ برجله حتى استوى جالساً، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أراك نائماً؟» فقال أبو ذر: يا رسول الله فأين أنام؟ هل لي من بيت غيره؟ فجلس إليه رسول الله ﷺ، فقال له: «كيف أنت إذا أخرجوك منه؟»، قال: إذا ألحق بالشام، فإن الشام أرض الهجرة، وأرض المحشر، وأرض الأنبياء، فأكون رجلاً من أهلها..» قال الإمام ابن عبد الهادي: (وإسناده حسن، والله أعلم) (١).

وفي هذا الحديث بيان استقرار فضل الشام عند الصحابة، فإن أبا ذر قال بحضرة النبي ﷺ عن الشام: إنها أرض الهجرة، وأرض المحشر، وأرض الأنبياء، فأقره النبي ﷺ، وهذا من أعظم فضائل الشام.

الحديث الثامن: أخرج الإمام أحمد عن عَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَمَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمَنْجَدُلٌ فِي طَيْبَتِهِ؛ سَأَنْبِئُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عَيْسَى وَرُؤْيَا أُمِّي رَأَتْ حِينَ وَلَدْتَنِي كَأَنهَا خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ

(١) فضائل الشام لابن عبد الهادي (٢٧) ط: ابن حزم.

لَهُ قِصُورُ الشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية: إسناده حسن<sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير: إسناده جيد<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير تعليقاً على الحديث: (تخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله)<sup>(٤)</sup>، ويلاحظ في كلام ابن كثير ﷺ التركيز على مكانة الشام في آخر الزمان.

الحديث التاسع: قال البخاري ﷺ: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِيٍّ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُحَايَمَرَ: سَمِعْتُ مُعَاذًا، يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا، يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ<sup>(٥)</sup>.

الحديث العاشر: قال الحاكم: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ثَنَا

(١) مسند أحمد (١٧١٥٠).

(٢) الرد على البكري (٦١).

(٣) البداية والنهاية (٤١٣/٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٣١٧/١).

(٥) صحيح البخاري (٧٤٦٠).

مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيُّ ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ  
 الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ  
 زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِ مُؤْمِنٌ إِلَّا لِحَقِّ الشَّامِ»<sup>(١)</sup> قَالَ ابْنُ رَجَبٍ عَنْ هَذَا  
 الْأَثَرِ: (خَرَّجَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الدَّمَشْقِيُّ الْحَافِظُ فِي «تَارِيخِهِ» وَقَالَ: رَوَاهُ  
 ابْنُ مَبَارَكٍ وَابْنُ مَهْدِيٍّ وَقَبِيصَةُ وَأَبُو حَازِمَةَ، عَنْ سُفْيَانَ فَوْقَ قَوْهِ  
 عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ الْمَحْفُوظُ). قُلْتُ: وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ هَذَا  
 الْكَلَامَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو يُقْصَدُ بِهِ مَرِحَلَةُ أَحْدَاثِ آخِرِ الزَّمَانِ،  
 حِينَ تَكُونُ الشَّامُ مَعْقَلُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْتَلَهُمْ.

وبقيت أحاديث في فضائل الشام متعلقة بالملاحم وأحداث آخر  
 الزمان أرجئ ذكرها إلى الفصل التالي.



(١) المستدرک علی الصحیحین (٨٥٠٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ،  
 وَلَمْ يُخْرَجْ.



## الباب الثاني:

# بيت المقدس وبلاد الشام في أحداث آخر الزمان

وفيه فصلان:

الأول: معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم.

الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر

الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام.



## الفصل الأول: معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم

إنّ من أخصّ ما ورد في الشام من أحاديث وأخبار عن النبي ﷺ: أنها أرض الملاحم الكبرى بين المسلمين والروم في آخر الزمان، وأنها ستكون موثلاً وفسطاطاً للمؤمنين حينذاك، كما أنها ستكون محلاً لنزول نبي الله عيسى عليه السلام، وأنه سيقتل الدجال في الشام في فلسطين منها، والأخبار في مجموع ذلك كثيرة وافرة، كما ورد عن النبي ﷺ أن الخلافة ستكون في الأرض المقدّسة.

ونظراً لكون الحديث عن الملاحم ونزول عيسى عليه السلام يرتبط بالحديث عن المهدي؛ لكونه الذي يؤم عيسى عليه السلام -في القول المشهور<sup>(١)</sup>- ولبعض الآثار الواردة في كونه سينزل بيت المقدس ويقاتل في الشام، ونظراً لوقوع كثير من الخلط بين الأحداث الواردة في الأحاديث، فسأبتدئ بذكر المعالم الفارقة بين مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم، ثم أنتقل لذكر الأحاديث الواردة

---

(١) والله أعلم بصحته فهو مبني على رواية في مسند الحارث بن أبي أسامة، ومبني على فهم ظني لأحاديث (وإمامكم منكم) حيث لم يرد فيها تعيين المهدي.

في الشام في أحداث آخر الزمان مع التعليق عليها بإذن الله تعالى. هذا، وإن من أهم ما يعين على تمام فقه النصوص الواردة في المهدي والملاحم: أن تُفَقَّه السمات الكلية للمرحلة المتعلقة بالأمرين والمستنبطة من مجموع النصوص، وعلى ضوء هذه السمات الكلية تُفَقَّه النصوص الجزئية، وبناء على ذلك أقول: إن من يتأمل في مجموع النصوص الواردة في المهدي والملاحم يُدرك الاختلاف الكبير بين سمات المرحلتين، وذلك على النحو التالي:



## المبحث الأول: سمات مرحلة المهدي:

السمة الأولى: أنها مرحلة ينتشر فيها الظلم والجور والعدوان ويعم الأرض، والأدلة على ذلك:

أ- حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِيءَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، قَالَ: ثُمَّ يُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلِئْتُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا)<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث من أصح الأحاديث الواردة في المهدي وأثبتها، أخرجه الإمام أحمد وابن حبان وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري به، وهذا إسناد صحيح لا غبار عليه، وأخرجه الحاكم من طريق عوف كذلك، فقال: حدثني الحسين بن علي الدارمي ثنا محمد بن إسحاق الإمام ثنا محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي عن عوف ثنا أبو الصديق الناجي به، وأخرجه كذلك من حديث هوذة بن خليفة عن عوف به، فزال بهذه الطرق ما يُخشى من وهم محمد بن جعفر في روايته عن غير شعبة.

(١) مسند أحمد (١١٣١٣).

ب- قال أبو داود: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا فِطْرٌ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنِ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلُؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»<sup>(١)</sup> وهذا إسناد لا بأس به.

ج- عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لتملأن الأرض ظلماً وجوراً حتى لا يقول أحد: الله الله يستعلن به، ثم لتملأن بعد ذلك قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، وهو حديث موقوف لا بأس بإسناده<sup>(٢)</sup>، ولعل المقصود من كلمة «الله الله» أن من يعلن ولائه لله وشريعته في مقابل الولاءات الأرضية والقوانين الوضعية يُقتل، أو من يعلن تدينه واستقامته على الإسلام، وهذا حصل في بعض البلدان العربية في الزمن الحديث، خاصة في مرحلة ما قبل الصحوة الإسلامية، وحتى في هذه المرحلة التي نعيشها اليوم اشتدت الحرب على العاملين للإسلام، ومُلت بهم السجون واكتظت، والله المستعان.

(١) سنن أبي داود (٤٢٨٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٧٦) عن معمر عن أبي إسحاق عن ضمرة عن علي موقوفاً.

السمة الثانية: أنها مرحلة اختلاف بين الناس واضطرابات،  
والأدلة على ذلك:

أ- حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلْزَلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا»<sup>(١)</sup>، وهذا الحديث أخرجه أحمد، قال: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْمُعَلَّى بْنُ زِيَادِ الْمَعْوَلِيِّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ بَشِيرِ الْمَرْزِيِّ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ بِهِ مَرْفُوعاً<sup>(٢)</sup>، وهذا الحديث وإن كان في إسناده جهالة من جهة العلاء بن بشير إلا أنه صالح، فالعلاء بن بشير ذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه المعلى بن زياد الراوي عنه: (وكان ما عَلِمْتُهُ شجاعاً عند اللقاء بكاءً عند الذكر)، لكن قال عنه ابن المديني: (مجهول لم يرو عنه غير المعلى)، وقال البزار: (العلاء لا نعلم أنه روى عنه إلا المعلى).

(١) مسند أحمد (١١٤٨٥).

(٢) وتتمة المتن: (ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى فلا يحتاج أحد إلى أحد فينادي مناد من له في المال حاجة قال فيقوم رجل فيقول أنا فيقال له انت السادن يعني الخازن فقل له قال لك المهدي أعطني قال فيأتي السادن فيقول له فيقال له احتشي فيحتشي فإذا أحرزه قال كنت أجشع أمة محمد نفساً أو عجز عني ما وسعهم قال فيمكث سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين ثم لا خير في الحياة أو في العيش بعده).

ب- حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ»<sup>(١)</sup>، ثم ذكر فيه خروج المهدي، وهو حديث لا بأس بإسناده والله تعالى أعلم، وسيأتي تخرجه بعد قليل.

السمة الثالثة: لا توجد قوة كبيرة للمسلمين حينذاك، وذلك لعدة أدلة:

أ- أن المهدي يلجأ إلى البيت وليس إلى جيش أو نحوه، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في ذكر القرشي الذي يلجأ إلى البيت، وحمله كثير من العلماء على المهدي<sup>(٢)</sup>.

ب- أن القوم الذين يكونون معه حين يلجأ إلى البيت وصنفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه ليست لهم منعة، كما في صحيح مسلم من طريق زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الملك العامري، عن يوسف بن ماهك، أخبرني عبد الله بن صفوان، عن أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ، وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِيَدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ».

(١) مسند أحمد (٢٦٦٨٩)، سنن أبي داود (٤٢٨٨).

(٢) على سبيل المثال، قال ابن حبان في صحيحه: ذُكِرَ الْخَبْرُ الْمَرْصُحُ بِأَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُخْسَفُ بِهِمْ إِنَّمَا هُمُ الْقَاصِدُونَ إِلَى الْمَهْدِيِّ فِي زَوَالِ الْأَمْرِ عَنْهُ.

قَالَ يُوسُفُ: وَأَهْلُ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ صَفْوَانَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ. (١)

ج- أنه لا يُقاتل الجيش الذي يغزوه، وإنما يكفيه الله إياهم  
بالخسف، مما قد يُستدل به على أنه لا طاقة للمهدي بمواجهة هذا  
الجيش؛ فيهلكهم الله كما أهلك فرعون وجنوده حين لم يكن مع  
موسى عليه السلام من يمكنه مواجهة فرعون بهم.

د- أنه يأتيه: «أبدال الشام وعصائب أهل العراق»، وهي ألفاظ  
تدل على القلة، والدليل على ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده قال:  
حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، وَحَرَمِيُّ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ  
قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْحَلِيلِ، عَنْ صَاحِبٍ لَهُ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ  
رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ هَارِبٌ إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ،  
فَيَخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهِ، فَيَبَايَعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ  
جَيْشٌ مِنَ الشَّامِ، فَيُخَسَفُ بِهِمُ بِالْبَيْدَاءِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ، أَتَتْهُ  
أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ الْعِرَاقِ، فَيَبَايَعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ  
أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَكِّيُّ بَعْثًا، فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ  
بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْحَبِيبَةُ لَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ، وَيَعْمَلُ

(١) صحيح مسلم (٢٨٨٣).

فِي النَّاسِ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِحِرَانِهِ <sup>(١)</sup> إِلَى الْأَرْضِ،  
يَمْكُثُ تِسْعَ سِنِينَ»، قَالَ حَرَمِيُّ: «أَوْ سَبْعَ» <sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث وإن كان في إسناده من هو مبهم، وهو صاحب  
أبي الخليل، إلا أن أبا حاتم الرازي نصّ في العلل على أن صاحبه  
هذا هو عبد الله بن الحارث <sup>(٣)</sup>، وهو ثقة. والحديث بذلك لا بأس  
به إن شاء الله.

السمة الرابعة: أن الجزيرة العربية ستكون خالية حينها من القوى  
المركزية الكبرى، بدليل:

(١) قال في النهاية: الجران: باطن العنق ومنه حديث عائشة ؓ: (حتى ضرب الحق  
بجرانه) أي: قر قراره واستقام كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض.  
انتهى من عون المعبود.

(٢) مسند أحمد (٢٦٦٨٩) وسنن أبي داود (٤٢٨٨).

(٣) قال ابن أبي حاتم في العلل (٢٧٤٠): وسألت أبي عن حديث؛ رواه عبد الصمد بن  
عبد الوارث، عن هشام، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحب له، عن أم  
سلمة ؓ، عن النبي ﷺ، قال: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من  
أهل المدينة ذاهب إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه  
بين الركن والمقام، ويبعث إليهم بعث الشام، فيخسف بهم بالبيداء.

فقلت لأبي: من صاحبه هذا؟ قال: عبد الله بن الحارث.

وقال في (٢٧٣٣): وسألت أبي عن حديثٍ رَوَاهُ سَهْلُ بْنُ تَمَّامٍ، عَنْ عِمْرَانَ، عَنْ  
قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فِي الْمُهَدِيِّ؟ قَالَ أَبِي:  
أَسْقَطَ مِنَ الْإِسْنَادِ رَجُلًا؛ رَوَاهُ عَفَّانٌ، عَنْ عِمْرَانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَهُوَ الصَّحِيحُ.

أ- الجيش الذي يغزو المهدي يأتي من الشام، وليس من الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>.

ب- الذين يلتحقون بالمهدي ويباعونه يأتونه من الشام والعراق<sup>(٢)</sup>.

ج - حديث الرايات السود، وقد أخرجه ابن ماجه، فقال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، وَأَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ خَالِدِ الْحَدَّاءِ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْتُلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةً، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قِتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ»، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ، وَلَوْ حَبَوًا عَلَى التَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»<sup>(٣)</sup>، وهذا الحديث مهم في بيان مرحلة المهدي،

(١) وذلك في حديث عبد الله بن الحارث عن أم سلمة الذي سبق ذكره.

(٢) بدليل الحديث السابق: حديث أم سلمة.

(٣) سنن ابن ماجه (٤٠٨٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرک: أخبرنا أبو عبد الله الصفرار، ثنا محمد بن إبراهيم بن أرومة، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سفیان، عن خالد الحداء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقاتلونكم قتالا لم يقاتله قوم - ثم ذكر شيئا فقال - إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على التلج، فإنه خليفة الله المهدي» هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبي في التلخيص (٨٤٣٢): على شرط البخاري ومسلم.

غير أن العلماء اختلفوا في صحته، فقال البزار: (اخترنا هذا الحديث لصحته وجلالة ثوبان وإسناده إسناد صحيح)<sup>(١)</sup>. وقال ابن كثير: (تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ مَاجَه، وَهَذَا إِسْنَادٌ قَوِيٌّ صَحِيحٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَنْزِ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا السِّيَاقِ كَنْزَ الْكَعْبَةِ، يَقْتَتِلُ عِنْدَهُ لِيَأْخُذَهُ ثَلَاثَةً مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ الزَّمَانِ فَيُخْرِجَ الْمَهْدِيَّ)<sup>(٢)</sup>.

لكن قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي، قال: قيل لإسماعيل بن عليّة في هذا الحديث، فقال: كان خالد يرويه، فلم يلتفت إليه، ضعّف إسماعيل أمره، يعني: حديث خالد، عن أبي قلابه، عن أبي أسماء، عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله في الرايات.<sup>(٣)</sup>

وأعلّ الشيخ سليمان العلوان الحديث، ولكنه صححه موقوفاً عند الحاكم على ثوبان، وقال: (له حكم الرفع)<sup>(٤)</sup> قلت: وحديث الحاكم الموقوف هو ذا: قال الحاكم: أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُونُسَ الْعَدْلِيُّ، ثنا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، أَنَّ أَبَا خَالِدٍ الْحَذَّاءَ، عَنِ أَبِي قِلَابَةَ، عَنِ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنِ ثُوبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ خَرَجَتْ مِنْ قَبْلِ خِرَاسَانَ، فَأَتَوْهَا وَلَوْ

(١) مسند البزار (٤١٦٣)، (١٠/١٠٠).

(٢) البداية والنهاية (٦٢/١٩).

(٣) «المنتخب من العلل» للخلال (١٧٠)، و«العلل» لعبد الله بن أحمد (٢٤٤٣).

(٤) في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب.

حَبْوًا ، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ<sup>(١)</sup> .

وذكر الشيخ عبد العزيز الطريفي الخلاف في رفعه ووقفه، ثم قال: (وإسناده لا بأس به)<sup>(٢)</sup> .



(١) المستدرک (١٦٢٦)

(٢) في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب.

## المبحث الثاني: معالم مرحلة الملاحم:

إنَّ التأمل في مجموع النصوص الواردة في أحاديث الملاحم يُبيِّن أنها مرحلة مختلفة عن مرحلة خروج المهدي من حيث السَّمات، فهي مرحلة قوة وجيوش إسلامية بخلاف مرحلة ظهور المهدي التي هي مرحلة خوف وهروب واضطرابات، وهل يكون السبب في هذا التحول هو حركة المهدي نفسه؟

لعله كذلك والله أعلم، فيكون المهدي سبب هذا التحوّل بإذن الله، وسبب انتظام أمور الأمة المحمدية بعد تبعثرها واضطرابها.

ومن أهم سمات مرحلة الملاحم ما يلي:

السمة الأولى: الملاحم ليست بداية القتال مع النصارى، وإنما هي استئناف له بعد الهدنة والصلح، والأدلة على ذلك:

الدليل الأول: حديث عوف بن مالك رضي الله عنه في صحيح البخاري: قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقَعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ

دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»<sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة من هذا الحديث في قول النبي ﷺ: هُدْنَةٌ، فالهدنة لا تكون إلا بعد قتال.

الدليل الثاني: قال أبو داود: حَدَّثَنَا النُّعْمِيُّ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: مَالَ مَكْحُولٍ، وَابْنُ أَبِي زَكْرِيَّا إِلَى خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، وَمِلْتُ مَعَهُمْ فَحَدَّثْنَا، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ، عَنِ الْهُدْنَةِ، قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلَقَ بِنَا إِلَى ذِي مَخْبِرٍ رَجُلٍ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهُدْنَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا أَمِنًا فَتَعْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ فَتُنْصَرُونَ وَتَعْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَرْجِعُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجِ ذِي ثُلُولٍ فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ»، حَدَّثَنَا مَوْمَلُ بْنُ الْفَضْلِ الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَيُثَوَّرُ

(١) صحيح البخاري (٣١٧٦).

الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ، فَيَقْتُلُونَ، فَيَكْرُمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ  
بِالشَّهَادَةِ»<sup>(١)</sup> وإسناده صحيح.

الدليل الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا  
تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ  
جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ  
الرُّومُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ:  
لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا»<sup>(٢)</sup>

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الذين سبوا منا»، يدل على وجود قتال سابق ترتب  
عليه وجود السبي، وفيه دلالة على أن المعايير زمن الملاحم وما  
قبلها ستتغير عما هي عليه اليوم؛ لوجود السبي.

السمة الثانية: الملاحم لن تكون إلا بعد أن يوجد للمسلمين  
جيش وقوة عظيمة، وليس عصابات قتالية متفرقة، والأدلة على  
ذلك:

الدليل الأول: حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق ذكره، وفيه:  
«فَيَأْتُونَكُمْ مَحْتًا ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» ووجه

(١) سنن أبي داود (٤/١١٠) وفي رواية عند ابن حبان (٦٧٠٩): (فيأتون ملكهم  
فيقولون كفييناك جزيرة العرب)، وفي لفظ: (كفييناك العرب).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٩٧) باختصار.

الدلالة: أنهم يأتون بهذه الأعداد الضخمة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ مما يدل على قوة الطرف المقابل<sup>(١)</sup>.

الدليل الثاني: حديث ذي مخبر الحبشي رضي الله عنه السابق ذكره، وفيه: «سَتَصَالِحُونَ الرُّومَ صَلَاحًا آمِنًا فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ» وفيه أيضاً: «تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ».

ووجه الدلالة هو في وجود القوة الاعتبارية للمسلمين بحيث يصلحون الروم ويقاتلون جميعاً عدوًّا مشتركاً، ثم في احتياج الروم للجمع استعداداً للملحمة؛ مما يدل على أنهم لا يستطيعون مقاتلة جيش المسلمين مباشرة؛ مما يدل على كثرته وقوته.

الدليل الثالث: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن الملحمة في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> لما أشار بيده إلى الشام وقال: «عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلَامِ»، وهذا يدل على أن أهل الإسلام يكونون على حال يمكنهم فيه جمع قوتهم وجنودهم ومن ثم التوجه للقتال، وهذا يخالف الوضع العالمي الحالي.

(١) فائدة: ذكر الثمانين راية قد يدل على تحولات وانقسامات تقع في الدول الغربية، وذلك لأنه لا يوجد اليوم هذا العدد من الرايات، إلا إن كانت تدل على تحالفات دولية تحمل كل هذا العدد من الرايات التي تتبع لقيادة الروم.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٩٩).

الدليل الرابع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ»<sup>(١)</sup>، مما يفهم منه الكثرة، خاصة وأن الثلث الباقي هو من يفتح القسطنطينية، وهذا يكون جيشاً وحده.

السمة الثالثة: المدينة النبوية ستكون قاعدة من قواعد المسلمين الكبرى، وسينطلق منها الجيش الأساسي لقتال الصليبيين، ولكن ذلك بعد مرحلة خراب تمرّبها، والدليل على ذلك:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم<sup>(٢)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَائِقِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»، على أن من العلماء من يرى أن المقصود بالمدينة هنا: مدينة دمشق، والأصل حملها على المدينة النبوية.

السمة الرابعة: ستكون الحدود بين البلدان مفتوحة، أو ستكون حركة المقاتلين بين البلدان سهلة، والأدلة على ذلك:

الدليل الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق ذكره<sup>(٣)</sup>، وفيه أن

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٧) باختصار.

(٢) صحيح مسلم (٢٨٩٧).

(٣) صحيح مسلم (٢٨٩٧).

الجيش الذي يقاتل الصليبيين في الشام يخرج من المدينة.

الدليل الثاني: حديث ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح مسلم <sup>(١)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً» إِمَّا قَالَ: «لَا يُرَى مِثْلَهَا»، وَإِمَّا قَالَ: «لَمْ يُرَ مِثْلُهُ».

السمة الخامسة: الشام ستكون معقلاً من معاقل المسلمين في الملاحمة، والدليل على ذلك:

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ» <sup>(٢)</sup> وهو حديث صحيح.

السمة السادسة: أنها مرحلة سيعاد فيها استعمال الأدوات القديمة في الحرب، والأدلة على ذلك:

الدليل الأول: قال الإمام مسلم: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩٤)، وأحمد (٢٢٠٢٣).

مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُوا،  
 قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ،  
 فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا؛  
 فَيَقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزُهُمْ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ  
 ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ  
 أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ  
 قَدْ عَلِقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ  
 الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ،  
 فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ  
 الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ  
 تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي  
 حَرَبَتِهِ<sup>(١)</sup>.

الدليل الثاني: أخرج الإمام مسلم في صحيحه من طريق: يُسَيْرُ  
 بِنِ جَابِرٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ذِكْرِ الْمَلْحَمَةِ، وَفِيهِ: (فَبَيْنَمَا هُمْ  
 كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِيَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيحُ إِنَّ  
 الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرُفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبَلُونَ،

(١) صحيح مسلم (١٣٨٦).

فَبِعَشْرٍ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ  
 أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ  
 الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»<sup>(١)</sup>.

تنبيه: ليس المقصود من قولنا إن من معالم الملاحم عودة الأسلحة  
 التقليدية نفي ما سواها، ولكن المقصود هو أن الأسلحة التقليدية  
 سيكون لها حضور في الملاحم، وقد يدل هذا على تغيرات كبرى  
 في العالم تحصل قبل الملاحم تؤثر في طبيعة الأدوات المستعملة في  
 الحروب.

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٩).

سمات مرحلة الملاحم	سمات مرحلة المهدي
الملاحم ليست بداية القتال مع النصارى، وإنما هي استئناف له بعد الهدنة والصلح	أنها مرحلة ينتشر فيها الظلم والجور والعدوان ويعم الأرض
الملاحم لن تكون إلا بعد أن يوجد للمسلمين جيش وقوة عظيمة، وليس عصابات قتالية متفرقة	أنها مرحلة اختلاف بين الناس واضطرابات
المدينة النبوية ستكون قاعدة من قواعد المسلمين الكبرى، وسينطلق منها الجيش الأساسي لقتال الصليبيين، ولكن ذلك بعد مرحلة خراب تمرّ بها	لا توجد قوة كبيرة للمسلمين حينذاك
ستكون الحدود بين البلدان مفتوحة، أو ستكون حركة المقاتلين بين البلدان سهلة	أن الجزيرة العربية ستكون خالية حينها من القوى المركزية الكبرى
الشام ستكون معقلاً من معاقل المسلمين في الملاحم	
أنها مرحلة سيعاد فيها استعمال الأدوات القديمة في الحرب	





## الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام

الحديث الأول: قال الإمام مسلم: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يُخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»<sup>(١)</sup> وأخرجه البخاري بنحوه<sup>(٢)</sup>.

هذا الحديث ليس فيه النص على بلاد الشام، ولكن ورد في كتب السنة روايات كثيرة تبين أن هذا القتال هو الذي سيكون في زمن عيسى عليه السلام ضد الدجال ومن معه من اليهود<sup>(٣)</sup>، وقد ثبت أن قتل

(١) صحيح مسلم (٢٩٢٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٩٢٥).

(٣) وقد وردت روايات كثيرة تدل على ذلك، منها -دون تحقيق لأسانيدها-:

١- مسند أحمد بن حنبل (٥٤٥١): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ،

عيسى عليه السلام للدجال سيكون ببلاد الشام، كما في صحيح مسلم

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَنْزِلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْحَةِ بِمَرِّ قَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يُخْرِجُ إِلَيْهِ النِّسَاءَ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَىٰ حِمِيمِهِ، وَإِلَىٰ أُمِّهِ، وَإِلَىٰ نَبِيِّهِ، وَأَخِيهِ، وَعَمَتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَسْلُطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِعْمَتَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيُخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تُخْفِي، فَأَقْتُلُهُ».

٢- المستدرک علی الصحیحین (٨٧٠٧): أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْخَافِضُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثنا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، ثنا مُسَدَّدٌ، ثنا مَعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ، فِقِيلَ: خَرَجَ الدَّجَالُ، قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَىٰ حَذِيفَةَ بْنَ أُسَيْدٍ رضي الله عنه، وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَقُلْتُ: هَذَا الدَّجَالُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَأَتَى عَلِيَّ الْعَرِيفُ، فَقَالَ: هَذَا الدَّجَالُ قَدْ خَرَجَ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يَطَاعُونَهُ، قَالَ: اجْلِسْ، فَجَلَسْتُ، فَنُودِيَ إِنَّهَا كَذِبَةٌ صَبَاغٌ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَرِيحَةَ، مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا لِأَمْرٍ، فَحَدَّثْنَا، قَالَ: «إِنَّ الدَّجَالَ لَوْ خَرَجَ فِي زَمَانِكُمْ، لَرَمَتْهُ الصَّبِيَانُ بِالْحَذْفِ، وَلَكِنَّ الدَّجَالَ يُخْرِجُ فِي بَعْضِ مِنَ النَّاسِ، وَخِفَةَ مِنَ الدِّينِ، وَسُوءَ ذَاتِ بَيْنٍ، فَيَرُدُّ كُلَّ مَنْهَلٍ، فَتَطْوَى لَهُ الْأَرْضُ طَيِّ فَرَوَةَ الْكَبْشِ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَغْلِبُ عَلَىٰ خَارِجِهَا، وَيَمْنَعُ دَاخِلَهَا، ثُمَّ جَبَلَ إِبِلِيَاءَ، فَيَحَاصِرُ عَصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهَذَا الطَّاعِنَةِ أَنْ تَقَاتِلُوهُ حَتَّىٰ تَلْحَقُوا بِاللَّهِ، أَوْ يُفْتَحَ لَكُمْ، فَيَأْتِرُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُ إِذَا أَصْبَحُوا، فَيُصْبِحُونَ وَمَعَهُمْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَهْزِمُ أَصْحَابَهُ، حَتَّىٰ إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ وَالْمَدْرَ، يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ، هَذَا يَهُودِيٌّ عِنْدِي، فَأَقْتُلْهُ، قَالَ: وَفِيهِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: هُوَ أَعْوَرٌ وَرُبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أُمَّيٌّ وَكَاتِبٌ، وَلَا يُسَخَّرُ لَهُ مِنَ السَّمَطَايَا: إِلَّا الْجِمَارُ، فَهُوَ رَجَسٌ عَلَىٰ رَجَسٍ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا لِعَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ، قَالَ: فَقُلْنَا: مَا هُوَ يَا أَبَا سَرِيحَةَ؟ قَالَ: فَمَنْ كَانَتْهَا قَطَعَ اللَّيْلُ الْمُظْلِمَ، قَالَ: فَقُلْنَا: أَيُّ النَّاسِ فِيهَا شَرٌّ؟ قَالَ: كُلُّ خَطِيبٍ مُصْتَفِعٍ، وَكُلُّ رَاكِبٍ مُوَضِعٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: أَيُّ النَّاسِ فِيهَا خَيْرٌ؟ قَالَ: كُلُّ غَنِيِّ خَفِيٍّ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِالْغَنِيِّ، وَلَا بِالْخَفِيِّ، قَالَ: فَكُنْ كَابِنِ اللَّبُونِ لَا تَظْهَرُ فَيْرُكَبَ، وَلَا ضَرَعٌ فَيُحَلَبُ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

عن النّوأس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «فَبَيْتًا هُوَ كَذَلِكَ إِذِ  
بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ  
بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاصِعًا كَفَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَينِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا  
رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جِهَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ

٣ - مسند أحمد بن حنبل (١٥١٨٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهَانَ،  
عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «يُخْرَجُ الدَّجَالُ  
فِي حَقْفَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارِ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الْأَرْضِ، الْيَوْمَ مِنْهَا  
كَالسَّنَةِ، وَالْيَوْمَ مِنْهَا كَالشَّهْرِ، وَالْيَوْمَ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَارَتْ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ، وَلَهُ  
جِهَانٌ يَرُكُّهُ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا. فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمْ. وَهُوَ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ  
رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ كَفَرْتُ بِكُمْ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٌ وَعَيْرُ  
كَاتِبٍ، يَرُدُّ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ، إِلَّا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَبْوَابِهَا،  
وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ حُبْرٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ، وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ نَهْرٌ يَقُولُ:  
الْجَنَّةُ، وَنَهْرٌ يَقُولُ: النَّارُ، فَمَنْ أَدْخَلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ، وَمَنْ أَدْخَلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ  
النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ»، قَالَ: «وَيَبْعَثُ اللَّهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ  
السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسَ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُجَيِّبُهَا فِيمَا يَرَى النَّاسَ، لَا يُسَلِّطُ عَلَى غَيْرِهَا  
مِنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ؟»، قَالَ: «فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ  
إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالنَّسَامِ، فَيَأْتِيهِمْ فَيَحَاصِرُهُمْ، فَيَسْتَدُّ حِصَارَهُمْ، وَيَجْهَدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا،  
ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحْرِ، فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا  
إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟، فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جَنِّيٌّ، فَيَنْطَلِقُونَ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،  
فَتَقَامُ الصَّلَاةُ، فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمَ يَا رُوحَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمَ إِمَائِكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ، فَإِذَا صَلَّى  
صَلَاةَ الصُّبْحِ، خَرَجُوا إِلَيْهِ»، قَالَ: «فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابَ، يَتَمَاتُ كَمَا يَتَمَاتُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ،  
فَيَمِثُّ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ، وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَلَا يَزُكُّ  
مَنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ». وغير ذلك من الروايات.

وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِيَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ»<sup>(١)</sup>.

وهل معنى ذلك أن اليهود سيظلون على احتلال فلسطين إلى زمن خروج الدجال؟

لا يبدو ذلك، فقد يُخْرَجُونَ مِنْهَا ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَيْهَا مَعَ الدَّجَالِ، وقد جاء في الحديث الصحيح ما قد يُفْهَمُ مِنْهُ ذَلِكَ، فقد قال الإمام مسلم في صحيحه: حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، عن إسحاق بن عبد الله، عن عمه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ»<sup>(٢)</sup>، وإذا قارنا ما جاء في هذا الحديث مع وضع الكيان الصهيوني حالياً ندرك مقدار تغير الأوضاع الذي يمكن أن يحصل لهذا الكيان المحتل، بحيث يكون جزء أساسي من جيوش اليهود في أصبهان إيران التي ليست في حالة صلح اليوم مع هذا الكيان، فسبحان مغير الأحوال ومقدر الأقدار.

الحديث الثاني: قال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَوْبَانَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عُمَرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرَبُ، وَخَرَابٌ

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٤٤).

يُثْرِبُ خُرُوجَ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجَ الْمَلْحَمَةِ فَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ خُرُوجَ الدَّجَالِ»، ثُمَّ صَرَبَ عَلَى فَخِذِهِ أَوْ عَلَى مَنْكِبِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا لِحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»، وَكَانَ مَكْحُولٌ يُحَدِّثُ بِهِ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يُحَايِمِرَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِثْلَهُ. <sup>(١)</sup>

هذا الحديث اختلف في إسناده <sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير عنه <sup>(٣)</sup>: (وهذا

(١) مسند أحمد (٢٢٤٤٦).

(٢) فقد ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (١٩٣ / ٥) موقوفاً من طريق ابن محيريز فقال: قال ابن منذر حدثنا الوليد حدثنا ابن جابر عن مكحول: عن عبد الله بن محيريز عن معاذ رضي الله عنه من قوله موقوفاً عليه. وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٠ / ١٥): حدثنا أبو أسامة، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن مكحول، أن معاذ بن جبل موقوفاً عليه كذلك.

وجاء في علل الدارقطني: وَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ يُحَايِمِرَ، عَنْ مُعَاذِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «عُمَرَانُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ لِيُثْرِبَ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجَ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجَ الْمَلْحَمَةِ فَتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ»، فَقَالَ: يَرَوِيهِ ابْنُ ثَوْبَانَ، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ؛ فَرَوَاهُ أَبُو حَيْوَةَ شَرِيحُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ يُحَايِمِرَ، عَنْ مُعَاذِ. وَخَالَفَهُ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، فَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يُحَايِمِرَ، عَنْ مُعَاذِ، زَادَ فِي الْإِسْنَادِ جُبَيْرًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قلت: والأرجح زيادة جبير بن نفير والله أعلم، فقد رواه أحمد عن أبي النضر عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان بزيادة جبير «المسند» (٢٤٥ / ٥)، ولعل اكتفاء الدارقطني بذكر الخلاف في هذا الوجه على ابن ثوبان يعني أن أصل هذا الطريق عنده محفوظ وليس خطأً، وذلك باعتبار أنه روي من وجه آخر من طريق ابن محيريز كما سبق في الحاشية. فإذا ثبت أن أصل هذا الطريق محفوظ كان الحديث حسناً لا بأس به وفيه بعض لين بسبب عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان.

(٣) بعد أن أورد إسناده الإمام أحمد عن أبي النضر به.

إسناد جيد، وحديث حسن، وعليه نور الصدق، وجلالة النبوة<sup>(١)</sup>.  
وهذا الحديث من الأحاديث المهمة، والبحث فيه ينتظم في عدة  
أسئلة:

أولاً: هل الجُمْل المذكورة في الحديث علامات لبعضها أم  
أسباب؟ فإن كانت علامات فليس بالضرورة أن يتسبب بعضها  
بحدوث بعض، فيكون عمران بيت المقدس منفك التأثير على  
خراب يثرب، أما لو كانت أسباباً، فمعنى ذلك أن كلاً منها يؤثر  
في الذي بعده تأثيراً سببياً.

- قال ابن رسلان: «تقديره عمارة بيت المقدس أمانة خراب»<sup>(٢)</sup>  
فجعلها علامة لا سبباً.

- وذكر السندي أنها: «أمانة لخراب يثرب»<sup>(٣)</sup>

- قال الملا علي قاري: «(خراب يثرب) أي: وقت خراب  
المدينة»<sup>(٤)</sup>، فجعلها علامة لا سبباً، ونقل عن الأشرف كذلك قوله:  
«قال الأشرف: لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه، وكثرة

(١) البداية والنهاية (١٧/٦٧) طبعة وزارة الأوقاف القطرية.

(٢) شرح ابن رسلان (١٧/٩٤).

(٣) فتح الودود في شرح سنن أبي داود للسندي (٤/٢٣٣).

(٤) مرقاة المفاتيح لقاري شرح حديث (٥٤٢٤).

عمارتهم فيه أمانة مستعقبة بخراب يثرب، وهو أمانة مستعقبة بخروج الملحمة، وهو أمانة مستعقبة بفتح قسطنطينية، وهو أمانة مستعقبة بخروج الدجال؛ جعل النبي ﷺ كل واحد عين ما بعده، وعبر به عنه اهـ، وخلاصته أن كل واحد من هذه الأمور أمانة لوقوع ما بعده، وإن وقع هناك مهلة».

- وقال الشيخ عبد المحسن العباد: «يعني: حصول العمران لبيت المقدس يكون علامة على خراب المدينة في آخر الزمان»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ما المقصود بالعمران المتعلق ببيت المقدس؟ هل هو العمران الحسي أم المعنوي؟ فإن كان حسياً فلا فرق بين أن يكون على أيدي المسلمين أو الكفار، وإن كان معنوياً فلا يكون إلا على أيدي المؤمنين، إما بالخلافة - وهذا يؤيده حديث نزول الخلافة الأرض المقدسة - وإما بكثرة الهجرة إليه وإقامة المؤمنين فيه.

- قال السندي: «عُمران بيت المقدس»، بضم العين أي عمارة بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم<sup>(٢)</sup>.

- قال الملا علي قاري: «عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال، (خراب يثرب) قيل: لأن عمرانه باستيلاء الكفار»، ثم ذكر عن

(١) شرح سنن أبي داود، المكتبة الشاملة. (١١/٤٨٣).

(٢) فتح الودود في شرح سنن أبي داود للسندي (٤/٢٣٣).

بعض الشارحين أن عمران بيت المقدس يكون على أيدي الكفار بعد خرابه، ثم قال: «والأصح أن المراد بالعمران الكمال في العمارة، أي: عمران بيت المقدس كاملاً مجاوزاً عن الحد وقت خراب يثرب، فإن بيت المقدس لا يخرب»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: هل الخراب المتعلق بيثرب خراب حسي بالدمار والحروب والقتل ونحو ذلك ويدخل فيه ترك أهلها لها بسبب زلازل أو براكين أو نحوها؟ أم أنه خراب معنوي؛ إما بانتشار الفساد والفجور فيها أو بقلّة المؤمنين فيها وتركهم إيها للهجرة إلى بلاد الشام أو غيرها؟  
رابعاً: لماذا سمى النبي ﷺ المدينة بيثرب في هذا الحديث مع كونه نهي ﷺ عن تسميتها بذلك؟ وهل في ذلك إشارة إلى كونها تمر بمرحلة جاهلية فاستحقت بذلك الاسم القديم الذي كان للمدينة أيام الجاهلية وهذا يؤيد تفسير الخراب بالمعنوي؟

- قال ابن رسلان: «وأما تسميته ﷺ المدينة هنا يثرب؛ لما فيه من مناسبة ذكر التشريب وهو الحزن واللوم على خرابها، ألا ترى أنها لما كانت عامرة في زمانه ﷺ سهاها طابة؛ لطيب المقام فيها في ذلك الوقت، بخلاف أيام خرابها لما شقت الإقامة في الخرب المستهزم

(١) مرقاة المفاتيح لقاري شرح حديث (٥٤٢٤).

سماها يثرب»<sup>(١)</sup>.

خامساً: هل الخراب المذكور ليثرب هو الخراب المذكور لها في الأحاديث الصحيحة المشهورة «أن أهل المدينة يتكون المدينة على خير ما كانت»؟ أم أنه خراب مختلف؟

- قال ابن كثير رحمه الله: «وليس المراد أن المدينة تحرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك آخر الزمان، بل تكون عمارة بيت المقدس سبباً في خراب المدينة النبوية، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها، يُمنع من ذلك بما على

(١) شرح ابن رسلان على أبي داود (٩٥ / ١٧) وبمناسبة ذكر ابن رسلان، فقد ذكر في شرحه لهذا الحديث رأياً غريباً في الموافقة بين هذا الحديث وبين حديث عوف بن مالك في البخاري، فقال: «يوافق ترتيب هذا الحديث رواية البخاري عن عوف بن مالك رحمه الله قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال، حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت إلا دخلته». ووفق الموافقة أن فتح بيت المقدس سبب عمرائها، وخراب يثرب وخروج الملحمة سبب موتان القتلى الذي تأخذكم كقعاص الغنم، فإن القعاص هو الموت المعجل، وفتح القسطنطينية هو سبب استفاضة المال حتى يعطى الرجل المال العظيم فيسخط به، ثم الفتنة التي لا تبقى بيتاً إلا دخلته، وهي فتنة المسيح الدجال التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعيذ منها). ووجه الغرابة أن المعروف عند العلماء في حديث عوف بن مالك أن فتح بيت المقدس قد تم على يدي عمر بن الخطاب، وأن الموتان هو الذي حصل في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ، وليس الموت الذي سيكون في الملحمة.

أبوها من الملائكة القائمين بأيديهم السيوف المصلتة»<sup>(١)</sup>

سادساً: لفظ الحديث يدل على التابع السريع بين الأحداث؛ لأنه جعل كل حدث عين ما بعده؛ فهل هذا ينفي التراخي الزمني بين كل حدث وما بعده مطلقاً؟ أم أنه لا يتعارض مع التراخي؟

- قال الملا علي قاري: «قلت: إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل الفتح علامة لخروج الدجال، لأنها مستعقبة له من غير تراخ»

- وقال الكشميري: «ولا يتوهم اتصال جميع هذه الأشياء بل يمكن الفصل الطويل بين علامتين»<sup>(٢)</sup>.

- قلت: ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث يدل على وجود التراخي بين فتح القسطنطينية وبين خروج الدجال، مما قد يدل على حالة التراخي في غيرها مما ورد في نفس الحديث كذلك، والحديث المقصود أخرجه أبو داود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بإسناد صالح - فقال: حَدَّثَنَا حَيْوَةَ ابْنُ شَرِيحٍ الْحَمِصِيِّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ بَحِيرٍ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ وَيَخْرُجُ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ فِي السَّابِعَةِ»،

(١) البداية والنهاية (١٧/٦٨) طبعة وزارة الأوقاف القطرية.

(٢) العرف الشذوي (٣/٤٢٤).

قال أبو داود: هَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عَيْسَى. <sup>(١)</sup> ويقصد بحديث عيسى، الحديث الذي قبله، وهو حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»، وهو حديث ضعيف.

والمقصود أنه ورد التراخي لمدة سبع سنين بين فتح القسطنطينية وخروج الدجال، وهذا فيه إثبات أصل التراخي، فالله أعلم بالمدة التي بين بقية الجمل الواردة في الحديث.

سابعاً: مما يُشكّل في الحديث ويتطلب تأملاً واسعاً، هو أنه ثبت في صحيح مسلم أنه سينطلق جيش من المدينة لقتال الكفار في الملاحم الشامية، وهذا يتعارض مع خراب يثرب الذي جعل علامة على خروج الملحمة، إلا إذا كان هناك تراخٍ في الزمن بين خراب يثرب وبين خروج الملحمة يسع لعودة عمران المدينة وانتعاشها بعباد الله المؤمنين مرة أخرى، وهذا محتمل؛ لأنه ثبت أن اللفظ لا ينفي التراخي، والله أعلم.

ثم وقفتُ على نقل ثمين من صاحب البحر المحيط الشجاع وذلك في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الملاحم، عند شرحه لجملة: «فَيُخْرَجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ» قال: «قال ابن الملك: قيل: المراد بها: حلب.

(١) سنن أبي داود (٤٣٩٥).

والأعماق، ودابق، موضعان بقربه، وقيل: المراد بها: دمشق. وقال في «الأزهار»: وأما ما قيل: من أن المراد بها مدينة النبي ﷺ فضعيف؛ لأنَّ المراد بالجيش الخارج إلى الروم: جيش المهديّ، بدليل آخر الحديث، ولأنَّ المدينة تكون خراباً في ذلك الوقت.

وقال صاحب «التكملة» بعدما نقل ما تقدّم: لعله يشير إلى ما رواه أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «عُمَرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابٌ يَثْرَبُ، وَخَرَابٌ يَثْرَبُ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَالِ»، لكن ليس في ذلك الحديث أنه ليس بين خراب يثرب وخروج الملحمة فصلٌ، وقد تُذكر الأشياء في أشرط الساعة، وبينها فصل كبير. انتهى»<sup>(١)</sup>.

الحديث الثالث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَرْطَاةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جُبَيْرَ بْنَ نُفَيْرٍ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»<sup>(٢)</sup>. قال ابن الجنيّد: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا عِنْدَهُ أَحَادِيثَ مِنْ مَلَاحِمِ الرُّومِ، فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ

(١) البحر المحيط النجاشي، للأثيري (٤٤/٣١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩٤)، وأحمد (٢٢٠٢٣).

حديث الشَّامِيِّينَ شَيْءٌ أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ صَدَقَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ النَّبِيِّ  
 ﷺ: «مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ أَيَّامَ الْمَلَا حِمْرٍ دِمَشْقُ». (١)

وفي هذا الحديث من البشرى أن دمشق سيخلصها الله من قبضة  
 الباطنية المحاربين لله ورسوله، وستكون غوطتها معقلاً للمؤمنين  
 وفسطاطاً.

وفيه، امتداح دمشق، وفضلها، وهذا أصح حديث في فضل  
 دمشق.

الحديث الرابع: أخرج الإمام مسلم في صحيحه من طريق عبد  
 الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد  
 الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النّوّاس بن  
 سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَضَ فِيهِ  
 وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا  
 فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً،  
 فَخَفَضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: «عَيْرُ  
 الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ،  
 وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَأَمْرُؤٌ حَاجِبٌ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ  
 مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَائِفَةٌ كَأَنِّي أُشَبَّهُهُ بِعَبْدِ الْعُرَى بْنِ قَطَنِ،

(١) سؤالات ابن الجنيّد (٤٠٨).

فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً  
 بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا. يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّبِعُوا  
 قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ، قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ  
 كَسَنَتْهُ، وَيَوْمٌ كَشَّهَرِ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا:  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتْهُ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ؟ قَالَ:  
 «لَا، افْعُدُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ،  
 قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ  
 بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فُتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فُتَنْبِتُ، فَتَرْوِحُ  
 عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًّا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَهُ  
 خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيُنْصِرُ  
 عَنْهُمْ، فَيُضْبِحُونَ مُمَحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ  
 بِالْخُرْبَةِ فَيَقُولُ هَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ، فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ  
 النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِنًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ  
 جِرْزَتَيْنِ، رَمِيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيَقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ يَضْحَكُ،  
 فَبَيْتَهَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ  
 الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفِّهِ عَلَى أَجْنِحَةِ  
 مَلَكَئِنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ هُجَانٌ كَاللُّلُؤِ،  
 فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي

طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِيَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى ابْنَ مَرِيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

قال النووي رحمه الله: (وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ فَصَائِلِ دِمَشَقَ)، وَأَيُّ شَرَفٍ وَشَأْنٍ لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ إِذْ يَنْزَلُ فِيهَا عَيْسَى عليه السلام فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِيَقْتُلَ الدَّجَالَ وَيَحْكُمَ بِالإِسْلَامِ وَيَعْلِي كَلِمَةَ الْحَقِّ.

الحديث الخامس: قال الإمام مسلم: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزَلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نَقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا؛ فَيَقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٦).

قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْدَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث النص على ارتباط بلاد الشام بأحداث آخر الزمان، حيث تقع دابق والأعماق قريباً من حلب، وقد سبق ذكر عدد من فوائد هذا الحديث في سمات مرحلة الملاحم.

الحديث السادس: أخرج الإمام مسلم في صحيحه من طريق: أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة العدوي، عن يسير بن جابر، قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة، قال: ففعد وكان متكئاً، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بعزيمة، قال بيده هكذا ونحاهما نحو الشام، فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني، قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبته، فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٧).

فِيهِ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفَنَى الشَّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ  
 الْمُسْلِمُونَ شَرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتُلُونَ حَتَّى يَحْجَزَ  
 بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فِيهِ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفَنَى الشَّرْطَةُ  
 ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شَرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتُلُونَ  
 حَتَّى يُمْسُوا فِيهِ هَوْلًا وَهَوْلًا كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ، وَتَفَنَى الشَّرْطَةُ،  
 فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ  
 عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلَهَا  
 حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَابَتِهِمْ، فَمَا يُخْلِفُهُمْ حَتَّى يَحْرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُ بَنُو  
 الْأَبِ كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ  
 غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيِّ مِيرَاثٍ يُقَاسِمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسِ  
 هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي  
 ذُرَارِيهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشْرَةَ فَوَارِسَ  
 طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ،  
 وَالْوَانَ خِيُولَهُمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ  
 خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»<sup>(١)</sup>

الحديث السابع: قال الإمام أحمد بن حنبل: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
 بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، أَنَّ ابْنَ زُغَبِ

(١) صحيح مسلم (٢٨٩٩).

الإياديِّ حَدَّثَهُ، قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي - وَإِنَّهُ لَنَازِلٌ عَلَيَّ فِي بَيْتِي - : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنُغْنِمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَعْنَمَ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجُهْدَ فِي وُجُوهِنَا، فَقَامَ فِيْنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ»، ثُمَّ قَالَ: «لِيُفْتَحَنَّ لَكُمْ الشَّامُ، وَالرُّومُ، وَالرُّومُ، وَفَارِسُ، أَوْ الرُّومُ، وَفَارِسُ حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنَ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنَ الْغَنَمِ، حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي أَوْ هَامَتِي، فَقَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَّتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ» <sup>(١)</sup>.

في هذا الحديث بيان ارتباط الشام بأحداث آخر الزمان من جهة نزول الخلافة فيها، فإن الأرض المقدسة في الشام.  
وقد اختلف في المراد بالحديث؛ هل المقصود به مُلك بني أمية أم الخلافة الراشدة في آخر الزمان على يدي المهدي؟

(١) مسند أحمد (٢٢٩٢٣).

فمن العلماء من حمّله على زمن بني أمية كما قال الخطابي في معالم السنن: (إنما أنذر به ﷺ أيام بني أمية وما حدث من الفتن في زمانهم وانتشر ذكره)<sup>(١)</sup>، وقال ابن رسلان في شرح سنن أبي داود<sup>(٢)</sup>: (وفي هذا معجزة عظيمة لرسول الله ﷺ فإن عبد الله بن حوالة عاش إلى أن رأى خلافة معاوية بن أبي سفيان في شوال سنة إحدى وأربعين ببيت المقدس، وعاش بعد ذلك إلى أن رأى خلافة عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بالشام، وكانت الزلازل قد قربت؛ فإن في سنة خمس وتسعين كانت الزلازل في الدنيا حتى عم الهدم الأبنية الشاهقة، وقتل الحجاج سعيد بن جبير، وتهدمت دور أنطاكية وكرثت البلابل جمع بلبال وبلبالة بفتح الباءين وإسكان اللام بينهما، وهو الهم والحزن ووسواس الصدر «والأمور العظام»، يعني؛ الفتن العظيمة بين الحجاج وعبد الله بن الأشعث، واتصلت الحرب بينهما مائة يوم كان فيها إحدى وثمانون وقعة، حكاها ابن الجوزي)، وفي بذل المجهود للسهارنفوري: (والمراد بها الشام، وقد وقع ذلك في زمان إمارة بني أمية)<sup>(٣)</sup>.

وذكر البرزنجي في «الإشاعة» القولين فقال: (وهذا إن أُريد بالخلافة

(١) معالم السنن (٢/٢٤٧).

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١١/١٧٣).

(٣) بذل المجهود (٩/١٠٣).

النازلة إلى الأرض المقدسة مُلكُ بني أمية، فقد وقع من الأمور العظام ما سنذكر بعضها، وإن أُريد خلافة المهدي فالمراد بها الآيات القرية إلى الساعة؛ كالدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

ومن العلماء من ذهب إلى أن المراد بذلك آخر الزمان، كما أخرج الطبراني، عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ بِسُنَّتِي، يُنَزِّلُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَيُنْبِتُ اللَّهُ لَهُ الْأَرْضَ مِنْ بَرَكَتِهَا، تُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَعْمَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَيُنَزَّلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»<sup>(٢)</sup>

وهو حديث ضعيف، وقال حمود التويجري في كتابه إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة معلقاً على حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه المذكور بالأعلى: (وفي هذا الحديث الصحيح إشارة إلى ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن المهدي ينزل بيت المقدس)<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر الشيخ سعيد حوى أن الاتجاه الأقوى عند العلماء حمل الحديث على خلافة المهدي<sup>(٤)</sup>.

(١) الإضاءة لأشراط الساعة (١١١).

(٢) وإسناده عند الطبراني (١٠٧٩): حدثنا أحمد قال: حدثنا أبو جعفر قال: حدثنا محمد بن سلمة عن أبي الواصل عن أبي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي أحد بني بهدلة قال الطبراني عقبه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٤١٢): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم.

(٣) إتحاف الجماعة (٢/٢٨٠).

(٤) الأساس في السنة لسعيد حوى (٢/١٠١٧).

قلتُ: والأقرب في الحديث - والله أعلم - أن المقصود بالخلافة هي الخلافة الراشدة في آخر الزمان<sup>(١)</sup>، وذلك لأمر:

الأول: أن النص الشرعي جاء بوصف ما بعد مرحلة الخلافة الراشدة بلفظ المُلْك، وكانت بدايته مع مُلْك الأمويين، وأما في هذا الحديث فجاء الوصف بالخلافة<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنه إذا كان المراد بالأرض المقدسة خصوص فلسطين لا عموم الشام، فمُلْك بني أمية لم يكن في فلسطين وإنما في دمشق<sup>(٣)</sup>.

والثالث: أن الزمن الأقرب إلى تتمة الحديث - في ذكر الزلازل والبلابل والأمور العظام وقرب الساعة - هو آخر الزمان حين خروج المهدي عليه السلام فهو زمن اقتراب الدجال والآيات العظام.

(١) يرى بعض العلماء المعاصرين أن الخلافة الراشدة ستعود قبل زمن المهدي، وأنه سيكون ضمن سلسلة الخلفاء أو آخرهم، وأرى أن هذا مشكل جداً، فإن من أظهر علامات زمن المهدي أن الأرض تمتلئ ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يملؤها الله به قسطاً وعدلاً، وهذا التحول سيكون بخلافة المهدي، وأما إذا قلنا إنه مسبق بالخلافة الراشدة المبشر بها في آخر الزمان، وأن سلسلة الخلفاء متصلة بالمهدي، فكيف تكون الأرض ممتلئة ظلماً وجوراً وفيها الخلافة الراشدة؟ هذا مُستبعد. والله أعلم.

(٢) وهذه دلالة ظنية محتملة لأن هذا الوصف بالخلافة يقع على الملك كذلك من حيث الإجمال، والله أعلم بالمراد في الحديث.

(٣) وقد اختلف المفسرون في تحديد الأرض المقدسة الواردة في القرآن، فخصها بعضهم بفلسطين، وحملها بعضهم على عموم الشام.

تمتة: جاء ذكر الخلافة الراشدة في آخر الزمان في حديث حذيفة كذلك، وهو ما أخرجه الإمام الطيالسي، فقال: حدثنا داود الواسطي، وكان ثقة، قال: سمعت حبيب بن سالم، قال: سمعت النعمان بن بشير بن سعد، قال: كنا قعودا في المسجد مع رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وكان بشير رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة، فقال: يا بشير بن سعد، أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟ وكان حذيفة قاعدا مع بشير، فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ فِي النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ»، ثم سكت، قال: فقدم عمر ومعه يزيد بن النعمان في صحابته، فكتبت إليه أذكره الحديث فكتبت إليه: إني أرجو أن يكون أمير المؤمنين بعد الملك العاض والجبرية قال: فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر، فسر به وأعجبه.<sup>(٢)</sup>

(١) هذه اللفظة (مع رسول الله) يبدو أنها وهم من الراوي، ولم ترد في بعض الطرق، وهو الأصح.

(٢) مسند الطيالسي: ٤٣٩ وقال الحافظ العراقي: «هذا حديث صحيح»، وقال الشيخ عبد الله السعد في شرح نواقض الإسلام: هذا يسأل عن صحة حديث «تكون فيكم النبوة

الحديث الثامن: وخرَّج الإمام أحمد والنسائي من حديث سلمة بن نفييل رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يُزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، فَيَقَاتِلُونَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمْ اللَّهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عَقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب رضي الله عنه: (وأما من قال من العلماء، إن هذه الطائفة المنصورة: هم أهل الحديث، كما قاله ابن المبارك ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني والبخاري وغيرهم، فإنه غير مناف لما ذكرناه، لأن الشام، في آخر الزمان بها يستقر الإيمان، وملك الإسلام، وهي عقرة دار المؤمنين، فلا بد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا، وأهل العلم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة القائمين بالحق الذين لا يضرهم من خذلهم)<sup>(٢)</sup>.

الحديث التاسع: قال ابن رجب رضي الله عنه في فضائل الشام: (وروى الوليد بن مسلم، عن مروان بن جناح، عن يونس بن ميسرة بن

ما شاء الله أن تكون» حديث النعمان بن بشير، وهذا رواه أبو داود الطيالسي وغيره، وهذا الحديث لا بأس بإسناده، لعل إسناده لا بأس فيه. وقال ماهر الفحل في تحقيق جامع العلوم والحكم: إسناده حسن.

(١) مسند أحمد (١٦٩٦٥)، وسنن النسائي (٣٥٦١).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣/٢١١).

حلبس، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَذَا الْأَمْرُ كَأَنَّ بَعْدِي بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ بِالشَّامِ، ثُمَّ بِالْجَزِيرَةِ، ثُمَّ بِالْعِرَاقِ، ثُمَّ بِالْمَدِينَةِ، ثُمَّ بِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَإِذَا كَانَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَتَمَّ عُقْرُ دَارِهَا وَلَنْ يَخْرُجَهَا قَوْمٌ فَتَعُودَ إِلَيْهِمْ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>، قال أبو القاسم الحافظ ابن عساكر: يعني بقوله: «بالجزيرة» أمر مروان بن محمد الحمار، وبقوله: «بالمدينة» بعد العراق يعني به: المهدي الذي يخرج آخر الزمان، ثم ينتقل إلى بيت المقدس وبها يحاصره الدجال، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث على كونه مرسلًا - فإن يونس بن ميسرة تابعي وهو من خيار التابعين الشاميين - إلا أنه مهم في ترتيب الأحداث، خاصة مع تعليق ابن عساكر وبيانه، وهو لا يتعارض مع مجموع ما ورد في الأحاديث والآثار، وفيه زيادة تعيين مفيدة، والله تعالى أعلم.



(١) تاريخ ابن عساكر (١/١٨٥).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣/١٩٠).

## خاتمة

إن لبلاد الشام مع رفع كلمة الإسلام موعداً

لن تخلفه..

وصلى الله وسلم على إمام النبيين وخاتم المرسلين..





